مراسلات أممية

ترجح العالم، الفصل 2

مراسلات أممية

أبريل 2025

- الانهزامية الثورية بين الأمس و اليوم
- نضال جماهيري في الهند ضد ثقافة الاغتصاب

المحتويات

مايو 2025

ترجح العالم، الفصل 2 3
نضال جماهيري في الهند ضد ثقافة الاغتصاب 7
اليونان: مأساة حادث قطار تِمبي Tèmbi تُبلور السخط الشعبي في اليوناني...11
«أحدث الخطاب الترامبي تغييرًا جذريًا في طريقة تواصل اليمين العالمي..15
في انتظار الربيع الروسي..... 18
الانهزامية الثورية بين الأمس و اليوم..... 21
ندوة دراسية: التنقلات الدولية للآمال الثورية في سنوات الخمسينيات حتى متم التسعينيات..... 27
استسلام النقابات العمالية بوجه النظام الفاشي 30
عن ماركس ومجتمعات الأطراف لكيفن ب. أندرسون..... 33
شرارة من النار التي تحرقنا 35

مراسلات أممية

http://alomamia.org

مراسلات اممية

مجلة إعلامية وتحليلية تصدر تحت مسؤولية المكتب التنفيذي للأممية الرابعة.

ملحق شهري؛ جريدة المناضل-ة

الترجمة، والإخراج: فريق عمل مراسلات أممية
العدد صفر، أكتوبر 2024.

المقالات لا تمثل بالضرورة وجهة نظر هيئة التحرير.

يُسمح بإعادة النشر شريطة ذكر المصدر.

حتى يتسنى للمراسلات الأممية الاستمرار، عرفوا-ن بها! اشترك-ي الآن!

صوت أممي باللغة العربية

ببالغ السرور بتنا اليوم قادرين على إصدار مجلتنا مراسلات أممية باللغة العربية، شقيقة لـ انترناشيونال فيوبونت الانجليزية و انبركور الفرنسية. يندرج هذا المشروع، الصادر بإشراف مكتب الأممية الرابعة، في استمرار لمختلف الإصدارات المنجزة باللغة العربية: المناضل-ة والخطوة [للاستكمال] . لكن الأحداث الجارية بالشرق الأوسط منذ سنة حدت بنا إلى الاهتداء إلى سبيل مجلة ذات استهداف دولي. تُبرز حرب الإبادة في فلسطين، متبوعة بالهجمات على لبنان وقريبا على إيران، من قبل إسرائيل، الحاجة الملحة إلى رد فعل عالمي، نسعى إلى الإسهام فيه. كما يوضح تعاونُ الأنظمة العربية بالمنطقة البغيضُ مع الدولة الصهيونية ضرورة بناء بديل. لا سيما أننا نعلم بأن منع المظاهرات في جل البلدان الناطقة بالعربية يطابق خوفا هائلا من التعبئات التي من شأنها إعادة الوصل مع الربيع العربي وزعزعة تلك الدول، ومن ثمة السيطرة الامبريالية.

يتمثل مشروع مراسلات أممية في الإسهام في بديل للامبريالية – الأمريكية والأوربية بالمقام الأول، لكن دون تنازل لسائر القوى الكبرى، الصين أو روسيا، التي تعارك كلها من أجل السيطرة على العالم، ولا للرأسمالية التي باتت أزمتها جلية عبر العواقب المدمرة للازمات البيئية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. تندرج معركتنا في حفز لنضالات المستغلين/ات والمضطهدين/ات، وبوجه خاص من أجل حقوق النساء ومجتمع الميم-عين، ومن أجل المساواة والتحرر، ومن أجل مجتمع اشتراكي ايكولوجي.

وليست مجلتنا بالطبع غير إسهام متواضع في هذا المشروع الثوري. لكننا نأمل أن يتيح نشرٌ في الآن ذاته لمقالات تحليل للوضع في بلدان عديدة وللوضع العالمي، وسردا للنضالات الاجتماعية ولعناصر توجه من اجل الفعل صوب المناضلين/ات الذين يستشعرون العزلة في بلدان تحكمها أنظمة مستبدة، قلنا نأمل أن يتيح شدَّ العضُد ومنحَ تماسك يتيح المساعدة على الفعل.

ستتقاسم مراسلات أممية، في وهلة أولى، مقالات مترجمة بجهودنا، منشورة عادة في انتناشيونال فيوبونت وانبركور، كي نقترح بسرعة مقالات تتناول بنحو خاص المنطقة الناطقة بالعربية. لذا عرّفوا بمراسلات دولية وبموقعها وبشبكاتها الاجتماعية، من أجل الإسهام في بناء صوت أممي، اشتراكي ايكولوجي وثوري للقرن 21

ترجح العالم، الفصل 2

تُمثل أشهُر ترامب الأولى في البيت الأبيض تسارعًا هائلًا للتاريخ. إذ اختلت موازين القوى وتتوطد السياسات العنصرية والمعادية للمكاسب الاجتماعية إلى حد كبير في الولايات المتحدة الأمريكية. نشهد الآن طفرة في الوضع، كرد فعل على «ترجح العالم» كما أعلنه فرانسوا سابادو في العام 2011 (1).

بقلم؛ أنطوان لاراش Antoine Larrache

كانت هذه الصدمة منتظرة. وبالفعل، كان فوز مرشح الحزب الجمهوري في انتخابات الرئاسة الأمريكية متوقعا، نظرًا لما اتخذته منافسته كامالا هاريس Kamala Harris والحزب الديمقراطي من مواقف أدت إلى تكبدهما هزيمة مبرمجة. كما أفضت الطريقة التي خرج بها ترامب من البيت الأبيض في العام 2021، مع تمرين الكابيتول ومضمون حملته الانتخابية، إلى بروز مؤشرات قوية على معالم سياساته المقبلة.

لكن العالم برمته مصدوم بسياسة الرئيس الجديد المتمتع بكل السلطات تقريبًا- الرئاسة والأغلبية في الكونغرس (في مجلسي النواب والشيوخ على حد سواء) والمحكمة العليا.

الرجعية الترامبية

إجراءات ترامب الأولى مرعبة، وخاصة ما يسميه «أكبر برنامج ترحيل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية». يصف المهاجرين/ات بأنهم/ن «غزاة/ات» مجرمون/ات، ويقرر إنهاء الوضع القانوني لـ 532000 مهاجر/ة من أمريكا اللاتينية وكوبا وهايتي ونيكاراغوا وفنزويلا، ويأمرهم/نّ بمغادرة البلد بحلول يوم 25 أبريل/نيسان.

تعرض الحق في الإجهاض لهجوم خطير بسبب إلغاء القرار الصادر في قضية رو ضد وايد Roe vs Wade، وأيضاً حقوق مجتمع الميم-عين، خاصةً بإلغاء تدابير التنوع والعدالة والاندماج (DEI) وبعدم اعتراف الحكومة الآن سوى بجندرين: رجال ونساء.

تؤدي أعمال التدمير التي تشرف عليها وزارة كفاءة الحكومة (DOGE, Department of Government Efficiency) برئاسة إيلون ماسك Elon Musk إلى إلغاء وزارة التعليم الفيدرالية، وتسريح آلاف عمال/ات في قطاع الصحة ومختلف الوكالات والإدارات والمعاهد والجامعات الخ. ستتعرض 50000 فرصة عمل للتهديد. كما سيتم سحب مليارات عديدة من الإعانات المالية المخصصة للأبحاث الطبية والعلمية، خاصة في مجال الأمراض المعدية. ويواجه «قضاة فيدراليون مارقون» خطر العزل ويتلقون تهديدات بالقتل. وتداس حرية الصحافة تحت الأقدام.

يسهم رامب في تحويل الولايات المتحدة إلى نظام أكثر استبدادًا مما كانت، وأصبح خطر حدوث انقلاب أو تطور تدريجي نحو نظام ديكتاتوري واقعًا ملموسًا (2).

«يساعد ترامب في تحويل الولايات المتحدة إلى نظام أكثر استبدادية مما كانت عليه بالفعل».

يبدو التغيير كبيرًا على صعيد العلاقات الدولية، مع اعتماد إستراتيجية دفاع جديدة عن مصالح الطبقات الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية، قوامها المطالبة بمزيد من إخضاع حلفائها كما يتضح من الضغط على كندا والمكسيك، خاصةً فيما يتعلق بالرسوم الجمركية. تبدو سياسة ترامب في أوكرانيا، متأرجحة بين إبرام «صفقة» مع بوتين لتقاسم هذا البلد الأخير وثرواته-على غرار قيام هتلر وستالين بتقسيم بولندا عام 1939-واعتماد الولايات المتحدة الأمريكية نظام حماية في أوكرانيا مقابل الحصول على مكاسب اقتصادية والاستيلاء على ثرواتها... وهما فرضيتان غير متعارضتين.

يدل تسارع وتيرة الهجوم الحربي على فلسطين، مع تصعيد الغارات الجوية والهجوم البري في غزة والهجمات على الضفة الغربية، على سعي ثنائي إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية إلى إحكام قبضتهما على المنطقة مهما كانت العواقب الإنسانية.

بوجه روسيا والصين

وبنحو جوهري أكثر، تمثل سياسة ترامب تسريعا لرد فعل الطبقات الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية بوجه ترجح العالم منذ ما يناهز عشرين عامًا. وكما أشار فرانسوا سابادو «تفاقم الأزمة تغيرات ميزان القوى في العالم، مع نهوض البلدان البازغة وتراجع الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة أوروبا. يحتفظ العالم الغربي، وخاصة أمريكا الشمالية، بقوته السياسية والعسكرية، ويصون قوته الاقتصادية، لكنه يتراجع أمام الصين وفي علاقاته مع قوى أخرى صاعدة» (3). لكن تفاقم الأزمة احتد مع تراجع معدلات النمو إلى نصفها أو ثلثها. تؤدي الأزمة البيئية إلى جعل إعادة تشكيل العالم ومناطق النفوذ ونهب الثروات مسألة حيوية بالنسبة للرأسماليين. اشتد التنافس نتيجة لذلك ودخلت القوى الكبرى طور مواجهة أشد حدة.

وعلى هذا النحو، ليس الهجوم الإمبريالي الأمريكي حدثاً معزولا، إذ ناقشنا في مناسبات عديدة دور روسيا في الهجوم الحربي على أوكرانيا لاستعمارها والاستيلاء على الثروة والسلطة السياسية فيها. نادرا ما يأتي الحديث عن تدخلات روسيا في إفريقيا، عبر مجموعة فاغنر، خاصة في ليبيا وجمهورية إفريقيا الوسطى ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وعن طريق إقامتها قاعدة عسكرية في السودان وليبيا وتشاد، الخ. لم

تتمكن روسيا في هذا السياق من مواصلة هيمنتها على سوريا.

وتدفع الصين أيضًا بيادقها، باحتلالها مواقع في جميع أنحاء أفريقيا، لكن أيضًا في أمريكا اللاتينية، حيث أصبحت ثاني أكبر شريك تجاري (بنسبة 151%+ بين عامي 2007 و2017، مع تنفيذ خطة تعاون لزيادة حجم المبادلات التجارية إلى 500 مليار دولار وتعزيز الاستثمارات لتصل إلى 250 مليار دولار) (4). وتشكل تحالفًا فعليًا مع روسيا، عسكريا (مناورات مشتركة، ومبيعات أسلحة لروسيا، إلخ) واقتصادياً وطاقياً على حد سواء، في إطار دينامية أصبحت فيها روسيا، التي كان الأكثر تقدمًا سابقاً، معتمدة على اقتصاد الصين وخاضعة له بصورة مطردة.

فلاديمير بوتين يقدم لدونالد ترامب الكرة الرسمية لكأس العالم لكرة القدم 2018 في قمة هلسنكي © Kremlin.ru

القطب الثالث

كانت مساعي ترامب للتوصل إلى تسوية مع بوتين بمثابة صدمة كهربائية للاتحاد الأوروبي، وبشكل أكثر تحديداً فرنسا وألمانيا. أفضى ذلك إلى استخلاص القوّتين الرئيسيتين في أوروبا–من الناحيتين العسكرية والاقتصادية–ضرورة الإسراع في بناء القوة الأوروبية التي ظلت تراوح مكانها لمدة عشرين عاماً تقريباً. يرى ميرتس Merz مستشار ألمانيا المرتقب، أنه «لا تفصل عن منتصف الليل إلا خمس دقائق، والأولوية المطلقة متمثلة في مقدرة الأوروبيين على الدفاع عن أنفسهم» من الناحيتين التجارية والعسكرية على حد سواء.

اتفق قادة فرنسا وألمانيا وبريطانيا ورئيسة المفوضية الأوروبية، أورسولا فون دير لاين Ursula von der Leyen، في بضعة أيام بداية شهر آذار/مارس، على وضع خطط لزيادة الإنفاقات العسكرية. تنص على بلوغ هذه الأخيرة نسبة 4.7% من الناتج المحلي الإجمالي في بولندا، ونسبة 5% في إستونيا، ونسبة 5 إلى نسبة 6% في ليتوانيا، ونسبة 2.5% في المملكة المتحدة، ونسبة 3.5% في فرنسا، وعلى مضاعفتها في الدنمارك.... طرح ميرتس خطة استثمارية بقيمة 1000 مليار يورو على مدى عشر سنوات، مما يقوض قاعدة خفض العجز في الميزانية إلى «صفر» في بلد متسم بالنزعة السلمية منذ العام 1945. وتسعى حكومة فرنسا إلى جمع مئات المليارات من اليورو من حسابات التوفير والتأمينات على الحياة...

وعلى الصعيد الاقتصادي، صرح المفوض الأوروبي المسؤول عن الازدهار والإستراتيجية الصناعية بالرغبة في «أوربة» الشركات، على مستوى منافذ البيع وسلاسل الإنتاج، مع «أفضلية أوروبية»، لكن باستبعاد أهداف إزالة انبعاثات الكربون.

«إن الأزمة البيئية تجعل إعادة تشكيل العالم ومناطق النفوذ ونهب الثروات أمرًا حيويًا للرأسماليين».

تتمثل سياستهم والحالة هذه في بناء أوروبا قوية، قادرة على منافسة الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على حد سواء. لا يزال اليمين المتطرف، وقطاعات البورجوازية المنضمة إليه في هذه المرحلة، مبهورين بترامب وبوتين، كنموذجين يحتذى بهما. لكن اليمين المتطرف في إيطاليا مدافع بالفعل عن الرغبة في بناء قوة أوروبية. وعلى هذا النحو، أعلنت جيورجيا ميلوني Giorgia Meloni أن إيطاليا «جزء كامل من أوروبا والعالم الغربي». وغيّر التجمع الوطني الفرنسي موقفه من مغادرة حلف شمال الأطلسي OTAN. تظل معالم موقف اليمين المتطرف في أوروبا على المدى المتوسط، وقدرته على ارساء رجعية برجوازية أوروبية استبدادية، غير محددة بعد.

زحف لا يقاوم

مخاطر تسارع التوترات هذا بين القوى الإمبريالية الكبرى هائلة، من الناحيتين العسكرية والاجتماعية على حد سواء. لأن هذه التوترات مندرجة في إطار أزمة الربحية التي تعاني منها الرأسمالية (5)، وعجزها عن إعادة تشغيل الآلة وتسارع طابعها الافتراسي (6). ليست هذه الدينامية جديدة–إذ شهدت الإنفاقات العسكرية الأمريكية، على سبيل المثال، ارتفاعًا حادًا منذ ما يناهز عقدًا من الزمن–لكنها تعززت إلى حد كبير، مما يضع العالم أمام احتمال حدوث مواجهات–اقتصادية أو عسكرية–بحجم لم يسبق له مثيل منذ تفكك الاتحاد السوفياتي.

لا يمكن التمييز بين هذين النوعين من المواجهة، المرتبطين بحاجات الطبقات السائدة لغزو مناطق نفوذ اقتصادي جديدة، عبر تغيير الموازين التجارية، ورفع الرسوم الجمركية، ونهب الموارد، إلخ. هكذا ينبغي فهم الحرب التجارية التي تخوضها الولايات المتحدة الأمريكية مع الاتحاد الأوروبي.

كما لا يمكن التمييز بين المواجهات القائمة بين الإمبرياليات والتعديات العنصرية والاستبدادية والمعادية للحقوق الاجتماعية في معظم بلدان العالم، لأنها تستهدف بدورها زيادة قدرات استغلال كل مجال من مجالات الرأسمالية عشرة أضعاف.

مرتزقة روس يحمون موكب رئيس أفريقيا الوسطى توادیرا، فبراير/شباط 2022. Clément Di Roma / VOA

هذا ما يعنيه تعبير الأوبرة [تحوُّل خدماتي على نسق أوبر Uber-المترجم-]، ومضاعفة بيع الخدمات أو تأجيرها، وفرط استغلال من هم/ن بلا أوراق ثبوتية، وتطوير العمل بالقطاع غير الرسمي، و تد مير / خصخصة الخدمات العامة، الخ. بينما تساهم العنصرية في تبرير فرط الاستغلال، وخلق ذهنية ذات نزعة قومية وحربية، والتأثير على قدرات الطبقات الشعبية على المقاومة. يعمل القمع وجميع أنواع التدابير المناهضة للديمقراطية، إلى جانب التحكم بالمعلومات ووسائل الإعلام، على استكمال عناصر هذه الصورة التي تفضي إلى مزيد من الحروب والاستبداد.

«في غضون أيام قليلة، اتفق قادة فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة ورئيسة المفوضية الأوروبية، أورسولا فون دير لاين، على وضع خطط لزيادة الإنفاق العسكري».

يتصاعد نفوذ اليمين المتطرف الفاشي، بأشكاله المتعددة، في جميع أنحاء العالم، كما أنه في سدة الحكم أو على شفا تولي مقاليد السلطة في بلدان عديدة في أوروبا، لأنه يقدم إجابة حول قسم كبير من هذه الميادين.

ردود الفعل الشعبية

بيد أن تعديات الطبقات الحاكمة ليست بدون رد، وتزايدت وتيرة التعبئات الجماهيرية في هذه الأسابيع الأخيرة، لأن سياسات الطبقات الحاكمة بدأت تنال من صميم ما يتيح للطبقات الشعبية العاملة قبول الرأسمالية: الحد الأدنى من الاحترام الواجب على الصعيدين الديمقراطي والاجتماعي. تحدث القطيعة عند التعدي على الكرامة، على حد تعبير روبي مورد (Robi Morder 7).

وهكذا، جرى أيضًا تنظيم تظاهرات حاشدة في صربيا واليونان ضد الأكاذيب بشأن حوادث السكك الحديدية، وفي تركيا ضد اعتقال رئيس بلدية إسطنبول. تتواجه هذه التعبئات مع السلطة السياسية، ولا تقتصر على مطالب فورية، بل تمثل أيضًا تعبيرًا عن سخط اجتماعي وديمقراطي أوسع نطاقًا. شهدت الولايات المتحدة الأمريكية تنظيم التعبئات ضد التدابير المناهضة للمهاجرين/ات. أظهرت التعبئات النسوية بوجه خاص، لكن أيضًا المناهضة للعنصرية وعمليات تسريح العمال/ات، في فرنسا، أن الوضع لا يزال متسما بانعدام الاستقرار إلى حد كبير. ينطبق ذلك أيضًا على أمريكا اللاتينية، وبريطانيا العظمى بعد ردود الفعل على التعديات العنصرية، وألمانيا مع تنظيم التعبئات ضد اليمين المتطرف، وما أثارته سياسة التشغيل من ردود فعل، حتى وإن كانت محدودة، الخ.

ليس الوضع بالنسبة للثوريين بسيطًا بأي وجه. إذ أن قسماً كبيراً من اليسار على استعداد لتأييد السياسات الحربية، بدافع النزعة الشوفينية، أو بفعل التناغم مع فكرة إمكانات إنعاش الاقتصاد مؤقتاً عبر الانفاق العسكري. ترتبط تنظيمات اليسار المؤسساتي في الواقع بالنظام البرجوازي عبر طرق عديدة: تعتمد الأجهزة النقابية إلى حد كبير على الدولة، ويبدي بعضها استعداداً للانجرار وراء سياسة الهروب إلى أمام نحو النزعة الحربية والطاقية بمبرر حماية فرص العمل؛ وبسبب تمسك الممثلين / ات المنتخبين/ات بمناصبهم/ات؛ وبفعل مختلف العلاقات الشخصية والأيديولوجية القائمة داخل الطبقات الحاكمة. وتسود في قطاعات أخرى نزعة الاصطفافية أو اللامبالاة تجاه المقاومة التي تبديها الشعوب- في فلسطين أو أوكرانيا حسب البلدان والتنظيمات-التي تتم التضحية بها، لخدمة مصالح القوى العظمى.

وبوجه تصاعد حدة التنافس والنزعة العسكرية، لم يحسم بعد أي شيء؛ فعلى غرار ما قبل الحربين العالميتين، ليست التحالفات محددة سلفًا أو ثابتة تمامًا، إذ أنها مرهونة بعوامل كُثر: المصالح المشتركة بين مختلف القطاعات الاقتصادية (التكنولوجيات الجديدة والصناعة والتمويل إلخ) وطبقات البرجوازية المعبرة عنها.

عناصر توجيهية

ليس بالوسع، في هذا الطور، سوى تحديد مبادئ عامة وبعض المواقف التكتيكية. يتمثل المبدأ الأول في التذكير بأن الطبيعة السياسية للأنظمة لا تحدد موقعها في العلاقات بين القوى: ينبغي معارضة الإمبرياليين ومساندة الأمم المضطهدة، مهما كانت سلطتها السياسية. وبالتالي يتعين معارضة الغزو الروسي ودعم أوكرانيا، مهما كانت طبيعة نظام زيلينسكي، على أمل أن تتسبب هزيمة روسيا في إحداث اضطراب في البلد.

يجب معارضة النزعة العسكرية للقوى الكبرى، وكذا زيادة حجم الميزانيات العسكرية، وينبغي تشجيع نزع السلاح النووي، والدفاع عن ضرورة إلحاق الهزيمة بالقوى الإمبريالية (8). يتسم تبني موقف من النزعة العسكرية بالتعقيد، لكن يبدو من مصلحتنا في الفترة الحالية تعزيز المشاعر المناهضة للحرب، والمشاركة في بناء حركة مناهضة لتصاعد النزعة الحربية. لا تتعارض

هكـذا حركة-بـل علـى العكـس، عليهـا حتـى أن تدعم-حـروب التحريـر ضـد الإمبرياليـة، مسـلحة وغيـر مسـلحة، في أوكرانيـا وفلسـطين بوجـه خـاص، مهمـا كانـت القيـادة السياسـية التـي تقـود حـركات التحـرر.

العنصـر الثالـث، إنـه دعمنا الحلـول المنبثقة مـن أسـفل في جميـع النزاعـات. في أوكرانيـا، حيـث نـدرك أن انتصـارا يتطلـب مشـاركة شـعبية، ممـا يسـتلزم تغييـرًا، بالأقـل في سياسـة الدولـة المعاديـة للحقـوق الاجتماعيـة، إن لـم يكـن تغييـر النظـام. لكـن أيضًـا في كردسـتان وفي سـورية وفي كل مـكان آخـر. وينطبـق هـذا أيضًـا بالطبـع على النضـالات الاجتماعيـة: ثمـة حاجـة ملحـة في كل بلـد لمناهضـة التعديـات الليبراليـة والاسـتبداد دفاعـاً عـن الديمقراطيـة-خاصـة ضـد اليميـن المتطـرف-ومواجهـة العنصريـة وكل أشـكال التمييـز، وذلـك ببنـاء حـركات جماهيريـة.

العنصـر الرابـع، إنـه الضـرورة المطلقـة لتحقيـق الوحـدة في هـذا الوضـع: مـع تفاقـم التناقضـات الطبقيـة، حتـى عندمـا تكـون منظمـات الحركـة العماليـة مندمجـة وسـلبية للغايـة، سـتؤدي الصراعـات بشـكل شـبه آلـي إلى إعـادةِ تحديـد للتموقعات مجسـدةٍ سياسـيا للتعارضـات بيـن البرجوازيـة و البروليتاريـا. وبالتالي، ضـرورة تبنـي مواقـف في إطـار وحـدة العمـل، مـع صـون اسـتقلاليتنا في علاقتنـا مـع حكومـات يسـار الوسـط المؤيـدة لليبراليـة، وبنـاء قـوى ثوريـة منفتحـة مسـتقلة. ينطبـق ذلـك بشـكل خـاص على النضـال ضـد اليميـن المتطـرف وضـد التعديـات الرجعيـة.

العنصـر الخامـس، إنـه إمـكان إعـادة النظـر في كل اليقينيـات بشـأن موازيـن القـوى والوعي بيـن عشـية وضحاهـا. بدايـةً، لأن «توقعـات الهيئـة الحكوميـة الدوليـة المعنيـة بتغيـر المنـاخ GIEC (التقريـر التجميعـي لعـام 2023)، تشـير إلـى أن درجـة الاحتبـاس الحـراري سـتصل، إذا ما اسـتمر تطبيق السياسـات الحاليـة دون اتخـاذ تدابيـر إضافيـة علـى مسـتوى العالـم، إلـى 1.5+ درجـة مئويـة بحلـول عـام 2030، و2+ درجـة مئويـة بحلـول عـام 2050، ومـا يناهـز 3+ درجـات مئويـة بحلـول عـام 2100 مقارنـة بعـام 1900 » (9). سـتؤدي العواقـب الملموسـة لهـروب الرأسـمال إلـى أمـام إلـى حـدوث هـزات في أوسـاط الشـباب وعالـم العمـل بشـكل متعـذر التوقـع. علينـا والحالـة هـذه أن نجيـب: حاضـرون/ت

«لدينا مصلحة في تعزيز المشاعر المناهضة للحرب والمساعدة في بناء حركة مناهضة للحرب».>

الثلاثاء 1 نيسان/أبريل عام 2025

احالات

Notes sur la situation » (1 internationale », notes de préparation du Comité international, François Sabado, jeudi 20 janvier 2011, publié par Europe solidaire et Inprecor. https://inprecor.fr/node/4650

États-Unis : Quelle est la distance » (2 qui nous sépare du fascisme ? », Dan La Botz, L'Anticapitaliste, 27 mars 2025.

F. Sabado, idem (3.

Chine : l'autre » (4 superpuissance », alternatives sud, 1er trimestre 2021.

La persistance de » (5 la longue dépression du capitalisme mondial », Michael Roberts, 6 avril 2024, Inprecor n°722-723. https://inprecor.fr/node/4210

Un capitalisme en crise, prédateur » (6 et autoritaire », entretien avec Romaric Godin, 4 février 2025, Inprecor. https://inprecor.fr/node/4610

L'unité et le combat pour la dignité » (7 sont les ciments des mobilisations de masse de la jeunesse », Robi Morder, revue L'Anticapitaliste, avril 2023.

Le défaitisme révolutionnaire, hier » (8 et aujourd'hui », Simon Hannah, Inprecor, 19 mai 2022.

La trajectoire de réchauffement de » (9 référence pour s'adapter au changement climatique », Météo France, 16 octobre 2024. https://meteofrance.com/la-trajectoire-de-rechauffement-de-reference-pour-sadapter-au-changement-climatique

قاذفة قنابل B-52 تم تصويرها بترسانتها. © U.S. Air Force

نضال جماهيري في الهند ضد ثقافة الاغتصاب

في الساعة 11.55 من مساء يوم 14 أغسطس 2024، كانت شوارع البنغال، المهجورة عادة في مثل هذه الساعة، مكتظة بالنساء الهنديات المطالبات بنصف السماء نصيبا لهن. مع اقتراب الذكرى السابعة والسبعين لاستقلال البلد، جعلن من هذه الليلة احتفالهن الخاص، مطالبات بوضع حد لثقافة الاغتصاب التي تقوض كل مفهوم للاستقلال.

بقلم جيلوم روا (*) Jhelum Roy

احتلت النساء كل زاوية وركن تقريبًا: العاملات من مختلف القطاعات اللائي يواجهن التحرش الجنسي في أماكن العمل؛ والطالبات في المدارس والكليات والجامعات اللائي يضطررن إلى النضال من أجل إثبات وجودهن في كل سنتمتر من حرمهن الجامعي؛ والنساء اللائي تعيقهن الأعمال المنزلية اليومية؛ والطبيبات والممرضات والمعلمات وعاملات المنازل اللائي خرجن جميعا إلى الشوارع احتجاجا.

قبل ذلك بخمس ليال، تعرضت طبيبة متدربة للاغتصاب والقتل في غرفة اجتماعات أثناء مناوبتها الليلية. قيل لوالديها أنها "انتحرت"، واضطرا للانتظار ثلاث ساعات قبل السماح لهم بدخول الغرفة.

وانتشرت شائعات حول صحتها النفسية. حتى أن مدير كلية الطب RG-Kar أدلى بملاحظة يندى لها الجبين، متسائلاً عما "كانت تفعل هذه الفتاة الصغيرة في هذا الوقت المتأخر" في غرفة الاجتماعات. وكان تقرير تشريح الجثة قد كشف بالفعل أنها تعرضت للاغتصاب قبل خنقها.

أثارت تعليقات المدير موجة سخط. وانتشرت الدعوة إلى مظاهرة "هيا نستعيد الليل"، عشية عيد استقلال الهند، كالنار في الهشيم، ما أدى إلى حركة واسعة في البلد على نطاق لم يشهده منذ عقد من الزمن. في ولاية البنغال الغربية وحدها، تم تنظيم حوالي 250 موقعا احتجاجيا في المدن ومقرات المقاطعات والقرى، حيث تحدَّت النساء ومجتمع الميم-عين حظر التجول للخروج إلى الشوارع والمطالبة بالعدالة.

أثبتت ليلة 14 أغسطس أنها ليلة تاريخية

لم تكن هذه أول مرة تُنظَّم فيها حملة" هيا نستعيد الليل" احتجاجا على التحرش الجنسي في البلد. كما ليست أول مرة تتظاهر فيها النساء الهنديات الغاضبات بشكل جماعي وتضامني للمطالبة بالعدالة ضد الاغتصاب والتحرش الجنسي.

كما أنها لم تكن أول مرة تُرتكب فيها مثل هذه الجريمة الوحشية في الهند. في هند اليوم، حيث تحافظ السلطات على ثقافة الاغتصاب، نظاما بعد نظام، ليس ما حدث في آر جي كار استثناء. في هند اليوم، التي يحكمها نظام يميني فاشي يجاهر حكامه بمعاداة النساء، ويستخدمون الاغتصاب سلاحا سياسيا لقمع المعارضة وإسكات النساء، أصبحت هذه الجريمة والإنكار الخطير للعدالة الذي ترتكبه السلطات هو القاعدة.

ولكن ما كان تاريخيا في هذه المظاهرة هو تدفق النساء العفوي. ففي أنحاء مختلفة من غرب البنغال، نظمت النساء مظاهرات «للمطالبة بالليل»، وللمطالبة بالعدالة للضحايا، وبوسائل نقل عام آمنة للنساء، ومراحيض عامة، وللمطالبة بإنشاء لجنة شكاوى داخلية تعمل في كل مكان عمل، وللمطالبة بحقوق العمل الأساسية للنساء في القطاعات المنظمة وغير المنظمة.

جيلوم روا

جيلوم روا طالبة دكتوراه في جامعة جادافبور وعضو في المجموعة النسوية النسوية المقاومة في كلكتا. نُشر في مجلة ضد التيار عدد 235 (مارس-أبريل 2025)، ترجمة للفرنسية من قبل سيلفي باركيه.

كانت هذه أول مظاهرة للعديد من هؤلاء النساء، و أول ليلة تحت النجوم للعديد منهن. وأول مرة يرفع العديد منهن شعارات.

كرنفال المقاومة

كانت هذه أيضا أول تجربة للكثير منهن في التنظيم السياسي. شاركت العاملات غير النظاميات اللائي يعملن في وظائف غير مستقرة تجارب معاناتهن من المضايقات في العمل. تحدثت الممرضات من المستشفيات الخاصة والعامة عن نقص بنيات تحتية تتيح القيام بواجباتهن بأمان في الليل. وتحدثت فنانات مسرحيات عما يتعرضن له من مضايقات.

وسافرت النساء ومجتمع الميم-عين لمدة ساعتين إلى ثلاث ساعات للوصول إلى مواقع المظاهرات. ومع تبين انعدام وسائل النقل العام، شكلن مجموعات لتنظيم السفر والقدوم معا.

شاركت النساء من الأحياء الفقيرة المجاورة تجارب معاناتهن من التحرش والعنف في المنزل أو في العمل. جاءت الأمهات مع بناتهن. وجاءت الأخوات معا. في التجمعات، كان الأصدقاء القدامى يجتمعون معا. كان كرنفال مقاومة حقيقيا.

فتح الناس أبوابهم طوال الليل للسماح للمتظاهرات باستخدام مراحيضهم. أبقت تعاونيات الأسواق المحلية مبانيها مفتوحة أمام النساء. تفاوضت طالبات من الجامعات الحكومية القريبة مع سلطاتها لإبقاء أبواب الحرم الجامعي ونزل النساء مفتوحة. غادرت بعض النساء منازلهن دون مرافقة الرجال ليلا، مصممات على المطالبة بأماكنهن العامة وتنظيم المظاهرات في أحيائهن.

أزادي

رفعت النساء عقيرتهن بصرخة "أزادي» («الحرية")، مطالبات بالتحرر من الاغتصاب، والعنف المنزلي، والتحرش في العمل، والمراقبة الأخلاقية، وعناء الأعمال المنزلية، والميز في الأجور، والملاحظات المتعالية من الآباء والإخوة، والنظام الرأسمالي الأبوي البراهماني. لوحت النساء بالراية الحمراء عاليا، بينما لوح أفراد مجتمع الميم-عين بأعلام قوس قزح.

وحملت النساء صور الثوريين، مستذكرات إرث المقاومة النسائية. ورفرف علم أحمر ضخم، مزين بصورة الشهيدة الثورية الهندية بريتيلاتا وادادار Pritilata Waddedar ،عاليا، تراقب أولئك الذين يعتبرون أنفسهم رفاقها (1).

كانت هناك ملصقات صنعتها أيادٍ غير متمرسة، وشعارات رددها من اللاتي جرى تكييفهن على عدم رفع أصواتهن أبدا. كانت هناك أغان وعروض ومشاركة للتجارب، حيث أمضت النساء الليل تحت السماء يتحدثن ويصرخن ويستمعن لبعضهن البعض ويتكئن على بعضهن البعض.

ولكن، مع مرور الليل، بدأت الأخبار تتوالى عن هجوم على الأطباء المضربين في مستشفى RG-Kar . فقد دخلت مجموعة من البلطجية إلى مقر الاعتصام، وفككت الموقع وضربت الأطباء ا لمعتصمين محاولة تدمير مسرح الجريمة. كان جليا أن نيتهم كانت تزوير الأدلة وتهديد المعتصمين. في هذه الأثناء، صدرت الأوامر لرجال الشرطة بالتغاضي عن ذلك.

«لطالما ناضل الكفاح من أجل العدالة بين الجنسين في الهند تاريخيًا ضد عقوبة الإعدام، منددًا بها بوصفها أداة من أدوات قمع الدولة تتيح لها احتكار العنف. تسعى الدولة إلى التخلص من فرد معين بينما تتخلى عن مسؤوليتها في إحداث تغيير نظامي.»

ما بدأ مظاهرةً تحول إلى حركة حقيقية، جمعت الناس الذين كانوا في السابق غير مبالين بسفك الدماء في الشوارع. أدركت هذه الحركة أن كرامة المرأة وسلامتها مرتبطة بالحق في نظام صحي عام يهتم بالمواطنين/ات العاديين/ات. إلا أن هذا النظام ينهار تحت وطأة الفساد، بل ويعرض حياة المرضى للخطر.

ثقافة الإفلات من العقاب والخصخصة والدولة النيوليبرالية

إن الإفلات من العقاب، والرسالة التي بعثها استعراض القوة الهائل الذي استُخدم لتخريب موقع مظاهرة "آر جي كار"، قد أطلقا عنان غضب كان يغلي في البلد منذ عقد. فقد شهدنا نحن الطالبات وقت وقوع قضية الاغتصاب في دلهي في عام 2012–عندما توفيت شابة من الطبقة المتوسطة متأثرة بجراحها، تعرضت للاغتصاب الوحشي والتعذيب على يد عدة رجال–آلاف الطالبات ونساء الطبقة المتوسطة اللاتي خرجن إلى الشوارع للمطالبة بالعدالة.

أثارت المظاهرات آنذاك نقاشات ساخنة حول العنف القائم على الميز الجنسي. وفي وقت لاحق، أفادت لجنة قضائية أن البنية التحتية غير الملائمة، والتقصير من جانب الحكومة والشرطة، كانت الأسباب الجذرية للجرائم ضد المرأة. أدى هذا الاحتجاج إلى تغيير قوانين الاغتصاب في الهند. ولكن بعد مرور عشر سنوات، وبينما نخرج إلى الشوارع مرة أخرى، ما زلنا نواجه ثقافة الإفلات من العقاب.

لقد قامت جميع الأحزاب السياسية تقريبا–من اليسار البرلماني إلى الوسط إلى اليمين–مرارا وتكرارا بحماية المغتصبين، ورعاية ثقافة الاغتصاب لتعزيز قبضتهم الانتخابية. أدى صعود الفاشية الهندوسية (الهندوتفا) إلى انفجار العنف الفظيع القائم على النوع الاجتماعي. وغالبا ما استُخدم الاغتصاب سلاحا سياسيا لقمع المظاهرات وتأكيد التسلط على الأقليات.

أرست ثقافة الإفلات من العقاب هذه، التي تمت تغذيتها من خلال حماية المغتصبين وتزوير الأدلة واستخدام أجهزة الدولة علانية لحمايتهم، سوابق يمكن لأي حزب حاكم أن يتبعها. ولذلك لم يكن من المستغرب أن يستخدم الحزب الحاكم في ولاية البنغال الغربية جميع وسائله للتغطية على مرتكبي جريمة آر جي كار. ومع ذلك، فقد أجج هذه المرة غضب السكان الذين بدا أنهم ضاقوا ذرعا بما فيه الكفاية.

من الجريمة إلى الاحتجاج

ربما تكون جريمة الاغتصاب والقتل في آر جي كار قد أثارت هكذا غضب لأن الضحية كانت طبيبة، وهي امرأة تعمل في

مسيرة جماهيرية حاشدة لإنهاء ثقافة الاغتصاب © Nilanjan Majumder

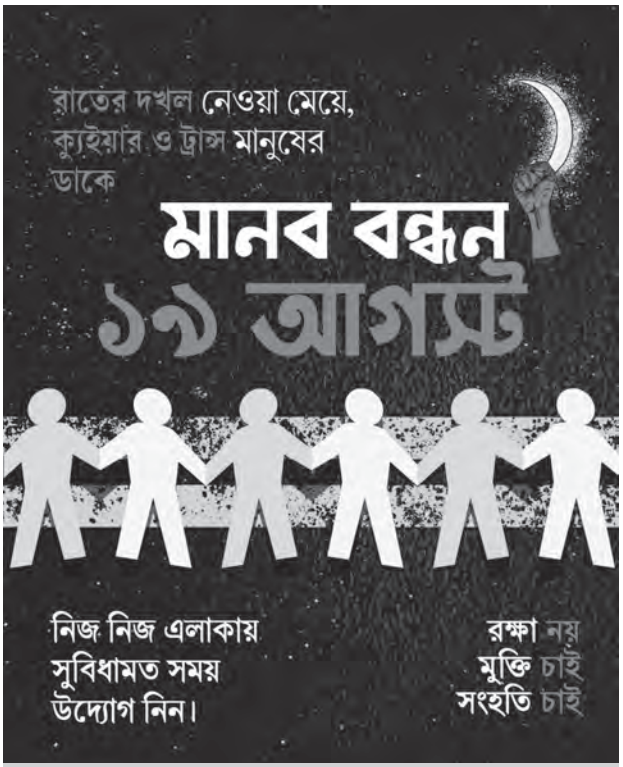

بدعوة نساء ومثليين ومتحولين جنسيًا يستعدون امتلاك الليل سلسلة بشرية - 19 أغسطس-غشت. لا نريد حماية... نريد الحرية... نريد التضامن

وظيفة "شريفة" من ذوي الياقات البيضاء، وقد تم الاعتداء عليها أثناء مناوبتها في مستشفى عام. وهذا يعني أن النساء لسن في أمان بأي مكان. كما أنه كشف عن عدم المساواة في أماكن العمل لدينا، والتي صممت لتقويض النساء العاملات وأفراد مجتمع الميم-عين. توافدت النساء العاملات من القطاعات المنظمة وغير المنظمة على حد سواء إلى المسيرات.

ونظمت التجمعات عاملات الأنغانوادي (المركز الصحي الريفي)، وعاملات المقاصف، والعاملات في مجال صحة الطفل (ICDS)، والعاملات المنزليات، وعاملات تكنولوجيا المعلومات، والعاملات غير المستقرات. كما امتدت المطالبة بالعدالة والكرامة إلى مكان العمل. فقد طالبن بمساءلة أصحاب العمل عن ضمان سلامة النساء وأفراد مجتمع الميم-عين في مكان العمل، ومن أجل تعيين أشخاص مهمتهم على وجه التحديد هي مكافحة العنف القائم على النوع الاجتماعي.

وفي حين أن مثل هذا الغضب كان غائبا في حالات سابقة من العنف القائم على النوع الاجتماعي-عندما كانت الدولة تستخدم الاغتصاب كأحد أسلحة قمع الحركات في المناطق النائية، وعندما كان العنف القائم على النوع الاجتماعي يُستخدم لتكريس الفظائع الطبقية أو لتكثيف الاحتلال-فإن الاحتجاجات التي رافقت الهجوم على ر.ج.كار أتاحت فرصا للنقاش حول الآثار المترتبة على كل هذا الصمت.

الحالة المزرية لنظام الرعاية الصحية

أطلقت حركة "هيا نستعيد الليل" نقاشا حول العدالة بين الجنسين، منددة بفشل الآليات المؤسسية في ضمان سلامة النساء وكرامتهن في أماكن العمل والأماكن العامة. كما عززت هذه المعركة ضد الإفلات من العقاب صوت المهنيين/ات الصحيين/ات، الذين/اللواتي أعربوا/ن عن مخاوفهم/ن بشأن الفساد الذي ينخر المستشفيات العامة.

بدأت الشهادات تتدفق من مختلف المستشفيات العامة ، كاشفة عن نظام أوسع نطاقا مصمما لجعل الرعاية الصحية غير متاحة للأشخاص المهمشين. عرت هذه القصص هشاشة النظام الصحي في ظل وجود عاملين/ت مرهقين/ت ومختنقين/ات، نظام مختل تعمدت جماعات الضغط تخريبه حتى تدفعه نحو الخصخصة.

لقد انكشفت حالة نظام الصحة العامة الهندي المزرية أثناء الجائحة. أثارت هاته الأخيرة مناقشات حول سياسات التكيف الهيكلي التي فُرضت كشروط للقروض المصرفية، بناء على طلب البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في الثمانينيات. وقد مهد ذلك الطريق للخصخصة، ما أدى إلى إعفاء الدولة من دورها كضامن ومقدم رئيسي للخدمات الصحية.

كشفت حادثة اغتصاب طبيبة مقيمة في مستشفى عام، وقتلها، عن لامبالاة الدولة بالعاملين/ات في مجال الصحة العامة. ومن المتوقع أن يضاعفوا جهودهم في مواجهة الانهيار السريع للنظام. كما أشعلت جريمة القتل شرارة حركة واسعة يقودها أطباء شباب من كليات الطب البنغالية البالغ عددها 22 كلية طب للمطالبة بنظام صحي عام أفضل وأكثر أمانا.

دعا الأطباء والطبيبات المحتجون/ات إلى إضراب لأجل غير مسمى ونظموا/ن اعتصاما أمام وزارة الصحة. بينما حاولت الحكومة إخماد النيران بوعد ضمان السلامة في المستشفيات العامة من خلال نشر قوات الأمن في مباني المستشفيات، رفض المحتجون/ات هذه الفكرة وردوا بأن سلامتهم غير مضمونة إلا بإضفاء طابع ديمقراطي على أماكن العمل، وإنشاء البنى التحتية لوضع حد للفساد والمساعدة في إعادة بناء النظام المتدهور.

وجدت مطالب الحركة صدى خاصا في أوساط الطبقات الوسطى والعاملة، المستفيد الأول من نظام الصحة العامة. فقد تحملت هذه الطبقات العبء الأكبر من تكاليف خصخصة القطاع الصحي.

بذلت الأحزاب السياسية المعارضة كل ما في وسعها لاقتياد الحركة وفق أغراض انتخابية، ولكن تم رفضها من قبل جماهير المحتجين/ات الغفيرة الذين/اللواتي أدركوا/ن الآن أن جميع الأحزاب السياسية البرلمانية تقريبا تعمل على الحفاظ على الوضع الراهن. اضطرت الحكومة، في مواجهة الغضب الشعبي العارم، إلى نقل مفوض الشرطة الذي غض الطرف وسهل عملية تزوير الأدلة في قضية ر.غ.كار.

علّق الأطباء والطبيبات المحتجون/ات إضرابهم، لكنهم/ن اضطروا/رن إلى الإضراب عن الطعام عندما رفضت الحكومة الاستجابة لمطالبهم/هن الأخرى. مع ذلك، وبعد اجتماع مع رئيس حكومة الولاية الذي وعد بدراسة مطالبهم، تم إلغاء الإضراب.

حكم قضائي والمعركة مستمرة...

حكمت المحكمة على مساعد متطوع في شرطة كلكوتا بالسجن مدى الحياة بتهمة الاغتصاب الوحشي وقتل طبيبة مقيمة، عمرها 31 عاما، في كلية ومستشفى آر جي كار الطبي. أثار الحكم مزيدا من الاحتجاجات، حيث بدا أن المحاكمة تغاضت عن تواطؤ الدولة في حماية القاتل وتبرئة سلطات المستشفى من مسؤوليتها في الحفاظ على كرامة موظفيها وسلامتهم.

بينما تستعد البنغال لخوض معركة جديدة للطعن في عيوب الحكم، تطالب

الدولة بإنزال عقوبة الإعدام بالجاني. ومع ذلك، فإن الحزب الحاكم هو من قام بحماية المتهم في المقام الأول وهو معروف بتواطئه مع المنظمات الإجرامية المتورطة في قضايا فساد مختلفة.

من الملاحظ أن الدعوة إلى عقوبة الإعدام لم تأت من حركة الأطباء الشباب أو من الحركات الاحتجاجية الليلية. فلطالما وقفت حركة النضال من أجل العدالة بين الجنسين في الهند تاريخيا ضد عقوبة الإعدام، ونددت بها باعتبارها أداة قمع من أدوات الدولة التي تمنحها احتكار العنف. تسعى الدولة إلى التخلص من فرد بينما تتنصل من مسؤوليتها في إحداث تغيير للنظام.

جاء هذا الحكم أيام فقط بعد وفاة امرأة حامل من الأديفاسي (أحد أفراد الشعوب الأصلية) في مستشفى عام آخر في إحدى بلدات المقاطعة في البنغال.

توفيت بعد تلقيها محلولا ملحيا ساما محظورا في ولايات أخرى. ومع ذلك، تواصل المستشفيات العامة في البنغال، بضغط من إحدى شركات الأدوية، استخدام هذا المحلول، دون مراعاة حياة النساء المهمشات. ومرة أخرى، سلطت وفاتها الضوء على عيوب نظام الصحة العامة، حيث لا تبدي الدولة ورأس المال اهتماما كبيرا بحياة النساء والمهمشين.

دور حركة نسوية جماهيرية

وإنه لذو دلالة أن الحركة النسوية في الهند ضد التحرش الجنسي في العمل بدأت مع اغتصاب عدد من الرجال لعاملة اجتماعية كانت تشرف على برنامج توعية حكومي في قريتها ضد زواج الأطفال.

وفي أوائل التسعينيات، ناضلت هذه الحركة من أجل تحميل الدولة المسؤولية بصفتها رب عمل. وتمكنت من التأكيد قانونيا على أن التحيز الجنسي والتحرش الجنسي في مكان العمل يخلقان بيئة عمل عدائية. من واجب أرباب العمل ضمان سلامة وكرامة العاملين/ات لديهم.

لا تزال أماكن العمل لدينا، بعد مضي ثلاثين عاما، مصممة لجعل النساء وأفراد مجتمع الميم-عين، المفترض أن يكون عملهم رخيصا، في وضع هش. علاوة على ذلك، فإن نسبة النساء العاملات في القطاع الرسمي آخذة في الانخفاض مع زيادة نزع الضبط عن عمل النساء.

في القطاع غير الرسمي، لا يلتزم أرباب العمل بضمان ظروف عمل آمنة، أو الامتثال للتشريعات التي تحمي حقوق العمال. في الواقع، يمكن القول إن الكفاح من أجل الكرامة في العمل لا يتعلق فقط بتأكيد هوية المرأة كعاملة، بل يتعلق أيضا بتثمين العمل نفسه.

«كشفت حادثة اغتصاب وقتل طبيب مقيم في مستشفى عام عن لامبالاة الدولة تجاه العاملين في مجال الصحة العامة».

في الوقت الذي تسمح فيه السياسات النيوليبرالية للدولة بفك ارتباطها بالخدمات العامة، وإذ تتم إعادة كتابة قوانين العمل لتجريم العمل النقابي وتمديد ساعات العمل من أجل تعظيم أرصدة أرباب العمل، وفي الوقت الذي يشجع فيه إغلاقُ المصانع وخصخصةُ الخدمات العامة على تفكيك ونزع الضبط عن العمل، وفي الوقت الذي تقوم فيه الدولة الفاشية بتطبيع العنف كل يوم، من المرجح أن تكون المعركة من أجل الخبز والورود معركة طويلة. إنها معركة ستتطلب من العمال/ات في الحقول والمصانع، في المنازل و ا لمستشفيا ت ، في المدارس والشوارع أن ينظموا/ن أنفسهم/ن ويطالبوا/ن بكل شبر مربع من المساحة الآمنة، كل ليلة وكل يوم.

مارس 2025

(*) جيلوم روي طالبة دكتوراه في جامعة جادافبور وعضو في المجموعة النسوية «النسوية المقاومة» في كلكتا.

نشر المقال من في: Against the Current ضد التيار، على الرابط

https://againstthecurrent.org/atc235/india-/mass-struggle-vs-rape-culture

تجدونالصورعلى الرابط: https: //www.facebook. com/jhelum.roy.7

١)) قادت بريتيلاتا وديدار Pritilata Waddedar (1911-1932)، وهي عضو في الجيش الجمهوري الهندي، هجوما مسلحا على ناد أوروبي مع خمسة عشر شخصا آخر. أصيبت في ساقها، وسممت نفسها بالسيانيد لتجنب القبض عليها من قبل الشرطة الاستعمارية. وتحسبا لاحتمالية موتها، حملت رسالة في جيبها "إنكيلاب زندباد" (تحيا الثورة)، والتي ألهمت نساء أخريات منذ ذلك الحين. كانت بريتيلاتا أول شهيدة في البنغال وتعتبر أيقونة ثورية.

كولكاتا، 4 سبتمبر/أيلول 2024. © Sumita Roy Dutta – CC BY-SA 4.0.

اليونان: مأساة حادث قطار تِمبي Tèmbi تُبلور السخط الشعبي في اليونان

اصطدم قطار بضائع يوم 28 شباط/فبراير عام 2023، قرب مدينة لاريسا في منطقة تيساليا، بآخر للركاب سائراً في الاتجاه المعاكس لكن على نفس المسار. أفضى هذا الحادث الرهيب إلى اندلاع حريق هائل. أدت الكارثة، التي عزاها رئيس الوزراء كيرياكوس ميتسوتاكيس Kyriakos Mitsotakis بدايةً إلى مسؤولية رئيس المحطة وحده، فور وقوعها، إلى موجة سخط عارمة لا تزال ضخمة اليوم بالأقل كما كانت قبل عامين، حين بلوغ خبر وفاة 57 شخصًا، ضمنهم عمال/ات السكك الحديدية وشبان/ات عديدين/ات (1)، على عكس آمال واعتقاد يمين الحكومة فائق الليبرالية. شهدت اليونان في هذه الأيام الأخيرة أضخم التظاهرات منذ عقود، مطالبة بتحقيق العدالة تحت شعار «موتانا، أرباحهم».

بقلم أندرياس سارتسيكيس
Andreas Sartzekis

كارثة معلنة

كانت أسباب الحادث الفعلية غريبة: كان وزير النقل كارامانليس Karamanlis ، قبل أسبوع من وقوع المأساة، يتباهى بما تتمتع به قطارات البلد من سلامة ممتازة، لكن بعد ذلك اتضح عدم تشغيل نظام التحكم عن بعد والإشارات الضوئية بأي وجه. كما تبيّن خاصة أن نقابات عمال/ات السكك الحديدية كانت تطالب بتطبيق تدابير السلامة دون جدوى، وحذرت بعد تعدد الحوادث من مغبة حصول كوارث ما لم تتخذ تدابير فورية.

ثم سرعان ما تحولت المشاعر الجياشة، التي اجتاحت البلد بعد هذه المأساة، إلى سخط عارم بعد اكتشاف مدى الإهمال الذي طال شبكة السكك الحديدية. وكما أشار بانوس كوسماس Panos Kosmas في مقال بصحيفة Ef Syn يوم 27 شباط/فبراير، كانت القطارات الضحية الرئيسية للخيارات السياسية في قطاع النقل منذ سنوات السبعينيات، لصالح شركات الطرق السيارة والحافلات الخاصة (KTEL) والشاحنات والسيارات. شهدت الشركة الوطنية للسكك الحديدية منذ أواخر سنوات التسعينيات عملية تفكيك إلى كيانات عديدة، حتى وصلت إلى خصخصة في سنوات 2010 –الأمر الذي لم تقم الترويكا حتى بالمطالبة به- حيث تتولى من جهة شركة السكك الحديدية اليونانية OSE مكلفة بالصيانة، بعد تقليص عدد عمالها إلى 750 عاملًا /ة، ومن جهة أخرى تشرف شركة هيلينيك ترين (Hellenic Train) الخاصة، التابعة لشركة السكك الحديدية الإيطالية، على شؤون القطارات. نعلم الآن أن ما يسمى بالقطارات الحديثة على خط أثينا-سالونيك هي قطارات تخلصت منها شركة السكك الحديدية السويسرية (نظرياً بغرض القائها في مستودعات الخردة) لأنها مسببة مشاكل عويصة. بوجه كل ذلك، كان إصرار ميتسوتاكيس على إلقاء المسؤولية على رئيس المحطة وحده (مع شعار «كلنا مسؤولون» كبديل...) يبدو بالفعل على حقيقته: أكاذيب الدولة واحتقار الضحايا.

والأكثر من ذلك، ستؤدي الانتخابات البرلمانية في ربيع العام 2023، حيث حقق فيها اليمين فوزًا عريضًا (بنسبة 41%، سيعارض بها حزب الديمقراطية الجديدة- بقيادة ميتسوتاكيس- كل الانتقادات وكل المطالب طيلة سنتين)، إلى اقتناع هذا الأخير بأن تعبئات السخط المذهلة المنظمة في شهر آذار/مارس عام 2023 ماضي انقضى.لا يبدو أن امتناع نسبة 46% من الناخبين/ات عن التصويت–وهو رقم كبير بالنسبة لليونان – أفضى إلى اثارة تساؤلات حول مقدرته على فرض نظامه: كان القانون والنظام، ولا يزالان، شعار حكومة يمينية فائقة الليبرالية وقمعية بشكل خطير، ومنفتحة على اليمين المتطرف وناخبيه (حققت مختلف المجموعات اليمينية المتطرفة ما يناهز نسبة 14% في انتخابات حزيران/ يونيو عام 2023...).

«سرعان ما تحولت المشاعر الجياشة التي اجتاحت البلاد بعد هذه المأساة إلى غضب عارم بعد أن اتضح مدى تخلي الحكومة عن شبكة السكك الحديدية».

كل الأسباب لتأجيج السخط الشعبي

هذا لأن التعبئات ضد سياسة اليمين فائقة الليبرالية–وازدراء حكومته لها- لم تتوقف منذ ربيع العام 2023، خاصة في صفوف الشبيبة كما رأينا العام الماضي مع الحراك–الذي أيدته أغلبية الطلاب/ات- ضد إحداث الجامعات الخاصة المفروض برغم بند دستوري مانع له.

أندرياس سارتسيكيس
ANDREAS SARTZEKIS

أندرياس سارتزيكيس مناضل في التيار البرنامجي للأممية الرابعة، إحدى مجموعتي الفرع اليوناني للأممية الرابعة.

لكن السخط عارم جدا في أوساط شريحة كبيرة من السكان، في تناقض صارخ مع ما تنشره الصحف العالمية حول «المعجزة الاقتصادية» التي حققها ابن الوزير السابق المحافظ كونستانتينوس ميتسوتاكيس Konstantinos Mitsotakis. لكن الواقع الاقتصادي متمثل في ارتفاع تكاليف المعيشة وطرد صغار ملاك المنازل المثقلين بالديون. إنه التدمير المنتظم للخدمات العامة الأساسية: المستشفيات في حالة يرثى لها، مع تولي اليميني الاستفزازي المتطرف أدونيس جورجياديس Adonis Georgiadis منصب وزارة الصحة، بعد أن كان يشغل منصب مقدم برامج تسويقية في التلفزيون سابقاً، بحيث يهين الموظفين ويساند بوضوح خصخصة قطاع الصحة. كما أن المدارس في نفس الحالة، مع المشروع الوزاري التعليمي الرهيب مؤخرا والذي أطلقته مؤسسة مالك السفن أرسطو أوناسيس Onassis وترعاه، علاوة على مطاردة النقابيين التي تتطلب دعماً عاجلاً من النقابات في العالم. يشهد البلد أيضًا تنامي عدد حوادث العمل، ما يدل على فرط الاستغلال الذي يمارسه أرباب العمل الذين يحوّلون كل مطالبهم إلى تدابير حكومية، ينفذها بإذعان وزير العمل سيئ السمعة كوستيس هادجيزاكيس Kostis Hadjizakis،

المنفذ المشؤوم لإجراءات قمع حقوق العمال/ات. يرتبط ميتسوتاكيس أيضًا بعدد من فضائح الدولة، وأشهرها فضيحة التنصت: تنصت ميتسوتاكيس و/أو المقربين منه على شخصيات بارزة عديدة، باستخدام برنامج بريداتور (Predator): زعيم حزب باسوك Pasok (الحركة الاشتراكية اليونانية)، وصحفيين، وحتى مسؤولين في اليمين وضباط في جهاز البوليس مما أدى إلى وقوع مئات الضحايا! على الرغم من الجهود التي بذلها ميتسوتاكيس للتكتم على فضيحة كان من المفترض أن تجبره على الاستقالة (اكتفى بإقالة ابن شقيقه...)، تخضع الآن لمحاكمة طويلة، لكن هذه الفضيحة تشكل خاصة تحذيراً حول الطابع الخطير لرئيس الوزراء هذا وحاشيته-وخاصة اليمينيين المتطرفين الذين تمت ترقيتهم إلى مناصب المسؤولية مثل «الوزير الخارق» ماكسيس فوريديس Makis Voridis، قائد الشبيبة سابقاً في طغمة الكولونيلات والمعروف (قبل ميلي Milei وجهازه...) بالفاشي صاحب الفأس، الذي كان يلاحق الطلبة/ات اليساريين في أثينا في سنوات السبعينيات...

وفي هذا الإطار، أعادت تظاهرات عديدة في العام الفارط إلى الأذهان أن السخط للمطالبة بالعدالة لصالح ضحايا أحداث قطار تمبي لا يزال شديداً جدا كما كان دوماً، مع تنظيم حفل تضامني في شهر تشرين الأول/ أكتوبر في الملعب الأولمبي القديم في أثينا، والذي امتلأ عن آخره بعشرات آلاف المتضامنين/ات (2).

في غضون ذلك، وفي غياب تحقيق جدير بهذا الاسم حول ظروف حادث القطار، وأسبابه الدقيقة، تولت عائلات الضحايا مسؤولية ما رفض ميتسوتاكيس القيام به، ، رغم تعهدات لم يصدقها عد كبير- كان تعهد بنفس الالتزام فيما يتعلق بفضيحة التنصت! كانت المعلومات التي أتاحت العائلات فرصة تسليط الضوء عليها مذهلة: بعد 4 أيام من الحادث، تم محو كل ما قد يتيح التوصل إلى أدلة على الميدان، بناءً على أوامر بتنفيذ عملية إزالة مخلفات مأساة القطار سريعاً. كما سعت العائلات إلى فهم كيفية نشوب الحريق. وفي الآن ذاته، نددت برغبة حكومة اليونان في التكتم على الفضيحة، في حين أدان الاتحاد الأوروبي نفسه حكومة اليونان لعرقلة سير التحقيقات اللازمة.

«تسرب منتج - ربما بنزين - وتسبب في اختناق العديد من الركاب قبل أن ينفجر ويتسبب في اندلاع الحريق».

كانون الثاني/يناير-شباط/فبراير عام 2025: عندما رفعت تجمعات ضخمة شعار «كفى»!

انضاف عنصر رهيب وحاسم بفضل عمل الخبراء/ات المفوضين/ات من قبل العائلات في بداية شهر كانون الثاني/يناير عام 2025: تم العثور على رسائل الضحايا الموجودة على رقم هاتف الاستغاثة 112، حيث يمكن سماع صوت شابة تحذر بعد وقوع الحادث مباشرة من عدم قدرتها على التنفس. يتضح بعد ذلك أن المعلومات الدائرة حولها الشكوك حقيقية: أدى انسكاب مادة-قد تكون بنزينًا-إلى اختناق ركاب/ات عديدين/ات قبل انفجارها واندلاع الحريق. ادعت الحكومة أن زيت تشغيل المحرك كانت في القاطرات. لكن هذا العنصر لا علاقة له بالحادث، وفقًا للخبراء/ات. لم يسفر ذلك عن وفاة أشخاص عديدين وحسب، بغض النظر عن الصدمة، بل بات من المؤكد أيضا، بشكل أو بآخر، عدم قانونية نقل هذه المادة، دون معرفة كيف حصل ذلك بالضبط، وبأي كميات ولصالح من. كانت صرخة «لم يبق لي أكسجين» منذ تلك اللحظة، وفي جميع أنحاء اليونان، الشعار الرئيسي الذي رفعته التعبئات الجديدة في بداية هذا العام. ودعت لجنة العائلات إلى تنظيم أول تلك التعبئات التي احتجت بشدة أيضًا على قيام الأغلبية اليمينية بتعيين كونستانتينوس تاسولاس Konstantinos Tassoulas رئيسًا جديدًا للجمهورية، والذي كان حتى ذلك الحين رئيسًا للجمعية الوطنية، ومتواطئًا مع ميتسوتاكيس في إخفاء ملفات قد تكون مفيدة في عملية التحقيق.

نظمت هذه التعبئة الوطنية يوم الأحد 26 كانون الثاني/يناير، بدعوة من لجنة العائلات وحدها، وتناقلها النسيج النقابي والسياسي اليساري والجمعوي برمته. كانت شكوك تحوم حول نجاح ذلك، لكن بفضل مختلف أصناف النقاشات واللقاءات الأولية، أصبحت التجمعات حاشدة، متخطية إطارها المنظم إلى حد كبير، إذ ضمت مئات آلاف المتظاهرين/ات في الشوارع-في ما يفوق 100 مدينة وحتى خارج البلد. سرعان ما تعذر الاقتراب من ميدان سنتغما Syntagma، مكان التجمع، في أثينا. كان أول رد فعل على هذا النجاح، الذي حضره عشرات الطلاب/ات الصرب/ات المعبئين/ات لنفس القضايا، وتخللته خطابات شديدة اللهجة وشعارات منددة بحكومة «الكاذبين» و«القتلة»، هو القمع العنيف في نهاية التجمع، في إشارة إلى مدى نقمة السلطات على نجاح المبادرة الباهر.

كانت السلطة في الأيام التي تلت ذلك، وبعد نجاح تظاهرات الطلاب/ات في 7 شباط/فبراير، في حالة اضطراب وحيرة تامين لأول مرة منذ 6 سنوات، مترددة بين ادعاء التعاطف (حضور ميتسوتاكيس في برنامج تلفزيوني) وإهانات وزراء اليمين المتطرف للعائلات، في محاولة لإنقاذ روايتها بشأن المأساة عبر العثور صدفةً على مقطع فيديو، مصور في 28 شباط/ فبراير عام 2023 على حد ادعائها، يعرض قطار الشحن-لكن لم يصدق صحته سوى قلة من الناس. وفي مظهر من مظاهر العصر، بدأ قسم من اليمين في التشكيك في موقف ميتسوتاكيس، وبصفة أساسية في سياسة رئيس الوزراء «الأوربانية» orbanesque [سياسة المجري فيكتور أوربان Viktor Orbán)3]. حذر دعاة اليمين المتوترون باطراد، بوجه نداء جديد لتنظيم تعبئة، من المشاركة في يوم الحراك الآخر المزمع انطلاقه يوم 28 شباط/فبراير: دعت إليه نقابة الاتحاد العام لعمال اليونان GSEE، التي تمثل النقابة الوحيدة في القطاع الخاص، والتي لم تكن أعلنت حتى ذلك الحين عن أي مبادرة، وكذلك اتحاد نقابات موظفي القطاع العام ADEDY. وفي الواقع، دعت الحركة النقابية برمتها وحتى جمعيات التجار/ات إلى تنظيم إضرابات وتجمعات. أقدمت الحركة النقابية بأكملها في الواقع، وحتى جمعيات التجار/ات، على الدعوة إلى تنظيم إضرابات وتجمعات. ثم استندت الحكومة بعد ذلك إلى حجتين قديمتين: تشكل هذه المبادرة مناورة سياسية من قبل اليسار، وحتى من قبل القومية (اليسارية) زوي كونستانتوبولو Zoé Konstantopoúlou بوجه التحديد. لم يؤد ذلك إلا إلى تعزيز اقتناعات الـ80% من السكان الذين يرَوْن سعي ميتسوتاكيس إلى عرقلة مسار التحقيقات! تتمثل الفكرة المبتذلة الثانية فيما يلي: قد يكون هذا اليوم خطيرًا مع احتمال سقوط قتلى، وهذا يعني بالأساس، اعترافًا بأن السلطة هي من يفتعل مشكلات لتبرير نشر عناصر أجهزتها القمعية! ويوجد في طليعة هذه الدعاية الوزيران اليمينيان المتطرفان، فوريديس Voridis وجاورجيادس Georgiadis...

كان الرد على الحكومة واضحًا: لم تتوقف الحركة الاقتصادية في البلد برمته وحسب في يوم 28 شباط/فبراير عام 2025، حيث أغلقت جميع المحلات التجارية أبوابها تقريبًا، بل كانت التجمعات أيضًا إحدى تلك اللحظات التي «دوّن فيها الشعب التاريخ»، كما عنونت صحيفة برين Prin)4). كانت التجمعات حاشدة في جميع أنحاء البلد، حيث شارك ما لا يقل عن 400000 في أثينا، و200000 في سالونيك، وعشرات الآلاف في عدد من المدن-وحتى في الخارج-وفي المجمل طبعاً ما يفوق بكثير مليون متظاهر/ات (5) تنديدًا بعرقلة مسار التحقيقات بشأن الكارثة، وإضافة إلى الشعارات السابقة، أصروا على « الاستقالة!»، وما يزيد من تثبيت ذلك أن الرد الوحيد من هذه السلطة الميؤوس منها جاء، مرة أخرى، في شكل تعديات جديدة وعنيفة جدا من قبل قوات أمنها الآلية. لكن إصرار المتظاهرين/ات كان بلا حدود: وعلى الرغم من التعديات، واستخدام خراطيم المياه، عاد آلاف متظاهري/ات أثينا إلى التجمع أمام البرلمان مرارا وتكراراً! وحتى صحف اليمين أكدت على أن اثارة «المشكلات» لم تنل من

إضراب وطني في أثينا يوم 8 مارس 2023. © NikosLikomitros – CCo.

مشاركة شخص واحد بالأقل من كل 10 أشخاص من اليونانيين في تظاهرات تلك الجمعة الشهيرة!

لم يبق لدينا أكسجين: ارحلي أيتها الحكومة التي تخنقنا!

كان ممكناً أن يكون اليوم التاريخي 28 شباط/فبراير ذروة تثبط تنظيم مبادرات جديدة، ستكون أقل ضخامة بالضرورة. لكن العكس تمامًا هو الذي حدث: تتضاعف المبادرات الجماهيرية في الشوارع. وعلى هذا النحو، قام عشرات آلاف المتظاهرين/ات مساء يوم الأربعاء 5 آذار/مارس، بإحياء ذكرى الضحايا أمام البرلمان بإلقاء 57 فانوساً في السماء، كما قام عشرات آلاف آخرين بنفس الشيء في جميع أنحاء البلد. في خرج الطلاب وموظفي قطاع التعليم، بما في ذلك نقابة المعلمين في المدارس الثانوية OLME، يوم الجمعة 7 آذار/مارس، إلى الشوارع في منتصف النهار، فيما نظمت تظاهرة أخرى في المساء. بنحو غير متوقع، لم تشهد ملاعب كرة القدم وكرة السلة انتشار لافتات ضخمة تطالب بالعدالة في حادث تمبي وحسب، بل توقفت المباريات فيها أيضاً في الدقيقة 57، لمدة 57 ثانية، في صمت مذهل... يوضح ذلك كله ما يعبر عنه شعار «سنمضي إلى النهاية... لا تمبي أخرى بعد اليوم» من قوة وإصرار معممين.

يقوم هذا المطلب على وعي جماهيري تلخصه بوضوح إحدى شخصيات لجنة عائلات الضحايا، ماريا كاريستيانو Maria Karystianou: تعتبر أن ابنتها جرت التضحية بها على مذبح إله المال. وهذه، بالطبع، هي المعركة الجوهرية: حيواتنا أهم من أرباحهم في اليونان كما في أي مكان آخر! من وجهة النظر هذه، يشكل ميتسوتاكيس رمزًا شبه كاريكاتوري، كما أصبحت المطالبة باستقالته اليوم شعارًا مركزيا.

لا يمكن لهذه الفكرة التي لا غنى عنها حجب مشكلتين. تكمن المشكلة الأولى في تحقيق التعبئات التي لم تتوقف بأي وجه منذ عام 2019 نتائج مرضية. بات ميتسوتاكيس وفريقه، مع كل ما ينشرونه من دعاية بشأن «الدولة المثالية والمعصومة من الخطأ»، أشخاصا مبتذلين، حتى بالنسبة لقسم من اليمين (6)، الذي يعمل على ترتيب بدائل وحلول ترقيعية محتملة، سواء بزعامة وزير الدفاع الحالي ديندياس Dendias أو القومي ساماراس Samaras . مع ذلك، قد يتمكن ميتسوتاكيس تماماً من البقاء زعيماً لليمين، عبر التخلص من بعض الأشخاص البارزين لإنقاذ النظام، مثل وزير الخارجية السابق المستقيل كريستوس ترياندوبولوس Christos Triantopoulos، الذي يمثل أحد المسؤولين عن عملية إزالة مخلفات أحداث القطار بشكل سريع في آذار/مارس 2023، وعن طريق إسكات فوريديس Voridis وجورجيادس Georgiadis لفترة من الوقت (لكن بالطبع دون استبعادهما، إذ يحتاج إليهما كثيرًا)، متذرعًا على سبيل المثال بتصويت نوابه/ته ال 157 ضد اقتراح حجب الثقة عن حكومته مقابل تصويت 136 نائبًا معارضًا/ة لصالح القرار في 7 آذار/مارس بسبب أحداث القطار المميت.

تداعيات سياسية غير مؤكدة

لكن المشكلة الفعلية هي الثانية: وهي مشكلة يسار مذرر ، ولا يحظى بمصداقية حتى الآن. أصبح حزب باسوك، منذ عدة أشهر وفي أعقاب الأزمة الداخلية لحزب سيريزا Syriza، الحزب المعارض الرئيسي الذي تعرض لهزيمة ساحقة أثناء فترة تنفيذ اليونان مذكرات تسوية مع دائنيها... نوعية زعيم الحزب حالياً، أندرولاكيس Androulakis، تجعل مؤسسه أندرياس باباندريو Andreas Papandreou يبدو ثورياً. كان موقفه أثناء الأزمة الحالية، بالإضافة إلى كونه أحد ضحايا فضيحة التنصت التي تورط فيها ميتسوتاكيس، متمثلا في المشاركة في التجمعات ليس بصفته عضوًا في باسوك، لكن «أبًا ومواطنًا»، مشيرًا إلى أن تجمعات 28 شباط/فبراير بعثت «رسالة مفادها وجود خلاف بين المجتمع والحكومة». بينما يصر حزب سيريزا واليسار على ضرورة رحيل ميتسوتاكيس، قدم أندرولاكيس اقتراحًا بحجب الثقة عن الحكومة في البرلمان، مؤكدًا الرغبة في معرفة الحقيقة بشأن أحداث تيمبي أولا، وليس استقالة ميتسوتاكيس. شارك في التصويت على هذا الاقتراح حزب سيريزا وحزبان آخران من اليسار البرلماني، لكن الحزب الشيوعي اليوناني KKE امتنع عن التصويت...

أما بالنسبة لليسار الجذري والثوري، فيدين عن حق السعي إلى البقاء في ميدان البرلمان، لكن لا يزال يعاني من الانقسام إلى حد كبير. بينما كانت التعبئة الاجتماعية ورفض الحكومة فائقة الليبرالية حدثين استثنائيين كما يتضح، لم يبرز حتى اللحظة أدنى أثر لسياسة يسارية بديلة ذات مصداقية إلى حد ما (7)، ومن الجلي انعكاس ذلك على ما سيحدث لاحقًا، في حين أن تعبير «خذوا هذه الحكومة وارحلوا!» كان شعارًا متداولاً على نطاق واسع في آذار/مارس 2023.

يمكن تناول مسار أو مسارين ممكنين لما سيحدث بعد ذلك مباشرة: المسار الأول بالطبع هو تجسيد ضرورة التعبئة في الشارع في الأيام المقبلة كما هو مقرر، مع المطالبة بكشف حقيقة ما حصل في أحداث قطار تيمبي من جهة، ما يعني وجود قضاء مستقل (توجد منذ عامين أمثلة عديدة على انحياز كبار القضاة إلى جانب روايات الحكومة) وخبراء لا علاقة لهم بميتسوتاكيس (وهذا لا ينطبق على حالة المتحدث باسم اللجنة التي أصدرت التقرير الأخير). ومن جهة أخرى، على الشارع صون «مذكرته بشأن حجب الثقة عن الحكومة» مع تصعيد التنديد بالحكومة التي تحرمنا من استنشاق الأوكسجين. لكن يمكن الاعتقاد أن المطالبة بإعادة تأميم قطاع السكك الحديدية وتوحيده، مع توفير الموارد البشرية والمادية اللازمة لوجود قطارات آمنة تحت رقابة عمالية، قد يساهم في خلق نضال مشترك: تدعو مختلف الهياكل بتحقيق ذلك، وقد يشكل مطلبًا موحدًا، مع توسيع نطاقه ليشمل إرساء خدمة عامة لوسائل النقل العام، بالنظر إلى حالة ميترو أثينا-التي كشفتها الحوادث التي كادت أن تقع-أو ميترو مدينة سالونيك (الميترو، الذي يمثل واجهة لليمين، معطل في أغلب الأحيان فيها). قد يتيح ذلك أيضًا التساؤل عن الأولوية المطلقة التي تحظى بها السيارات والشاحنات والحافلات الخاصة من الناحيتين الاقتصادية والبيئية... وبشكل أعم، سيساعد ذلك على تقويض كل سياسة تفكيك الخدمات العامة وخصخصتها.

كما يعني ذلك أيضًا المطالبة بكشف الحقيقة حول مآسي أخرى. كان بعض المتظاهرين في التجمعات المنظمة في أثينا، يربطون رعب غرق السفينة في سواحل مدينة بيلوس، حيث قضى ما لا يقل عن 600 مهاجر حتفهم غرقًا في ظروف مريبة، بحادثة الجثث الممزقة لـ 8 مهاجرين/ات سقطوا من زورقهم بعد مناورات عناصر خفر السواحل البحرية في سواحل جزيرة رودس Rhodes. تشكل العدالة والتضامن في هذه الأيام التي تشهد تعبئة استثنائية، بذور البديل السياسي الفعلي، وينبغي أن تكون كذلك!

أثينا، 8 آذار/مارس عام 2025

إضافة إلى ذلك، ظل أحد ضحايا أحداث قطار تيمبي بعد عامين بين الحياة والموت.

نُشرت مقالات عديدة بقلم أندرياس سارتسيكيس في انتيكابتليست L'Anticapitaliste وانبريكور Inprecor حول المأساة وأسبابها والسخط الشعبي. حسب التسلسل الزمني: «كارثة السكك الحديدية في اليونان: «موتانا، أرباحهم»» « Catastrophe ferroviaire en Grèce : "Nos morts, leurs profits" » في 4 آذار/مارس 2023، «اليونان: موجة سخط بعد كارثة السكك الحديدية» « Grèce : vague de colère après la catastrophe ferroviaire » يوم 8 آذار/مارس 2023، «اليونان: «لن ننسى جريمة أحداث تيمبي بأي وجه»!» «Grèce: "Jamais on n'oubliera le crime de Tèmbi"!» في 15 آذار/مارس 2023 في انتيكابتليست، «اليونان: تضافر النضالات حول الذكرى المأساوية لحادثة قطار تيمبي» «Grèce: Convergence des luttes autour du tragique anniversaire de Tèmbi » في 29 شباط/ فبراير 2024 في مجلة انبريكور،«اليونان: تعزيز النضالات وتوحيدها!» « Grèce : amplifier et unir les luttes ! » في 13 تشرين الأول/ أكتوبر 2024، «اليونان: تعبئات لمعرفة أسباب مأساة حدث قطار تيمبي» في 20 شباط/ فبراير 2025، «اضراب جماهيري وتظاهرات تاريخية تضامنا مع ضحايا قطار تيمبي» « Grève massive et manifestations historiques pour les victimes de Tèmbi » في 1 آذار/ مارس 2025 في أنتيكابيتاليست.

https://lanticapitaliste.org/actualite/international/catastrophe-ferroviaire-en-grece-nos-morts-leurs-profits

https://lanticapitaliste.org/actualite/international/grece-vague-de-colere-apres-la-catastrophe-ferroviaire

https://npa-lanticapitaliste.org/actualite/international/grece-jamais-noubliera-le-crime-de-tembi

https://inprecor.fr/node/3860

https://lanticapitaliste.org/actualite/international/grece-amplifier-et-unir-les-luttes

http://lanticapitaliste.org/actualite/international/grece-mobilisations-pour-decouvrir-les-causes-de-la-tragedie-de-tembi

http://lanticapitaliste.org/actualite/international/greve-massive-et-manifestations-historiques-pour-les-victimes-de-tembi

2) أثارت أغنية ضجة في هذه الظروف: تلك التي كتبها بالمناسبة المغني الممتاز فيفوس ديليفورياس Fivos Delivorias ، وتمثل خطابا من أب إلى ابنه المقتول في الحادث. https://youtu.be/hq3eZ65RFJo?si=7nZWDlKRuX537d4g

وترتبط أغنية أخرى في الحفل بالمأساة، ألقتها فرقة الراب كيني ثنيتي (مجرد بشر Simples mortels)، بعنوان "Je vais tarder ce soir" ("سأتأخر هذه الليلة").

https://www.youtube.com/watch?v=pQCCC1W9_RY

3) وعلى هذا النحو، انتقد الوزير اليميني القومي السابق أنطونيس ساماراس، االمطرود مؤخرًا من حزب الديمقراطية الجديدة، سلوك الحكومة المشين تجاه أسر الضحايا.

4) يتم إصدار مجلة برين Prin من قبل تيار اليسار الجديد NAR، الذي ظل لسنوات عديدة المجموعة الرئيسية لليسار المناهض للرأسمالية، والمتحدر من انشقاق طال الحزب الشيوعي اليوناني KKE في عام 1989، وخاصة في قطاع الشبيبة. انسحبت تيارات عديدة في السنوات الأخيرة من تيار اليسار الجديد NAR الذي عقد مؤتمره للتو لتأسيس منظمة جديدة تحمل اسم منظمة Kommounistiki Apeleftherossi (التحرر الشيوعي).

5) يمكن استخلاص فكرة عن الحشود الحاضرة يوم 28 شباط/فبراير من الصور التي جمعتها صحيفة " إي أف سين " (Ef Syn (Quotidien des Rédacteurs).

https://www.efsyn.gr/ellada/koinonia/464653_deite-tin-istoria-apo-psila-drone-binteo-foto

6) لم ير ميتسوتاكيس في تجمعات يوم 28 شباط/فبراير سوى أقلية ضئيلة داعية إلى استقالته: إذ يعتقد أن الأغلبية الساحقة من المتظاهرين/ات متفقة معه على ضرورة مضي اليونان قدما. وإذا لم تصله أصوات مئات آلاف الشعارات التي تطالب باستقالته وتصف حكومته بالقتلة، فقد تجاوزنا مرحلة الاستفزاز... علاوة على ذلك، أعلن يوانيس إيكونومو Iannis Ikonomou المتحدث باسم الحكومة لحظة وقوع مأساة تيمبي في 7 مارس/آذار أمام الجمعية الوطنية رفض الخط الحالي القائم على تعبير «ميتسوتاكيس أو الفوضى»!

7) تعكس استطلاعات الرأي هذا الوضع المثير للقلق: في استطلاع للرأي (معهد GPO) بداية شهر آذار/مارس، حصل حزب الديمقراطية الجديدة على نسبة 23.1%، وحزب باسوك على نسبة 14.8% وحزب إلينيكي ليسي Elliniki Lyssi (يمين متطرف) على نسبة 9.2%، والحزب الشيوعي اليوناني (KKE) على نسبة 7.9%، وحزب بليفيزي إلفثيريا Plevsi Eleftherias(بزعامة كونستانتوبولو) على نسبة 6.9%، وحزب سيريزا على نسبة 6%، وحزب فوا لوجيك Voix Logique (يمين متطرف) على نسبة 4.2%، وحزب نيكي Niki (يمين متطرف) على نسبة 2.2%، وحزب جبهة العصيان الواقعي الأوروبي ميرا Mera (بقيادة فاروفاكيس) على نسبة 1.8%، وحزب اليسار الجديد نيا أريستيرا Nea Aristera (انشقاق كوادر حزب سيريزا) على نسبة 1.7%. أعلنت نسبة 52.5% من المستطلعة آراؤهم/ن تأييدها إجراء انتخابات عامة سابقة لأوانها بسبب تطورات مأساة أحداث قطار تيمبي.

في متم شهر مارس هذا، لم تسقط الحكومة: يسعى ميتسوتاكيس إلى البقاء مسيطرا، برغم استطلاعات رأي بالغة السوء. ولذلك أجرى تعديلاً وزارياً ضئيل الأهمية، ما عدا أنه وضع أحد وزيريه اليمينيين المتطرفين في وزارة الهجرة، في إشارة واضحة إلى الناخبين اليمينيين المتطرفين. ويستمر الهروب إلى أمام...

أما بشأن التحقيق في أسباب مأساة قطار تمبي الإجرامية ، فالحكومة تواصل سياسة الطمس. وبوجه هذا، تستمر التعبئة بأشكال مختلفة: مظاهرات - شارك فيها آلاف الأشخاص في أثينا وسالونيك في عدة مناسبات - مسيرات - غالبًا ما تنظمها جمعيات الطلاب - حفلات موسيقية، إلخ... وتتعزز الصلة مع جميع أشكال الغضب الأخرى. في 22 مارس/آذار، عبرت المظاهرة عن التضامن مع الشعب الفلسطيني، وجرت تحت يافطة تِمبي وبيلوس (غرق ما لا يقل عن 600 مهاجر)، مع هذا الرقم الرهيب لعام 2024: غرق 27 قاربًا للاجئين و61 قتيلاً و59 مفقودًا... وثمة أيضًا غضب متزايد من القمع إزاء آلاف المعلمين الذين يتعرضون لإجراءات تأديبية، كما تتكاثر الإضرابات المحلية ضد حوادث العمل...

لا تتطلب هذه التحركات كلها اليوم غير أن تتضافر. ما يطرح، أكثر من ذي قبل، مسألة بناء آفاق ذات مصداقية يساراً. في متم شهر مارس/آذار، جاءت حركة زوي كونستانتوبولو (رئيسة البرلمان في عهد سيريزا في عام 2015)، المدعية أنها ليست يسارية ولا يمينية (!)، في المرتبة الثانية بعد اليمين. وهذا مؤشر واضح على خيبة أمل الشباب والعمال من الأحزاب والمنظمات اليسارية، ومن اليسار ككل. هذه مسألة ملحة. في الوقت الراهن، منظور التعبئة الوطنية المقبلة هي الإضراب العام الجديد الذي دعا إليه الاتحاد العام لعمال اليونان واتحاد نقابات الموظفين العموميين في موعد متأخر جدًا، 9 أبريل.

أ.س، 24 مارس 2025

«أحدث الخطاب الترامبي تغييرًا جذريًا في طريقة تواصل اليمين العالمي»

حقق دونالد ترامب فوزًا واضحًا في الانتخابات الرئاسية، وقد فاجأ ذلك مراقبين كثر توقعوا فوز كامالا هاريس - أو على الأقل فوز ترامب بفارق ضئيل. أثبتت النتيجة مجددا الانفصال بين المؤسسة الإعلامية وتصويت ناخبين غاضبين بشكل متزايد.

مقابلة مع لورا كامارغو (*) Laura Camargo

وبهذا الفوز الأخير، أصبح ترامب ثاني رئيس في تاريخ الولايات المتحدة منذ عام 1892 يُعاد انتخابه بعد خسارته في الانتخابات السابقة. والأكثر من ذلك، وخلافًا لما حدث في عام 2016، فاز بالأصوات الشعبية، وهو أمر لم يحدث منذ أكثر من عشرين عامًا لدى الجانب الجمهوري.

كمن أحد العناصر الرئيسية لنجاح ترامب في قدرته على تقديم نفسه بمثابة رجل غير سياسي، بل رجل أعمال ناجح، ومدير أعمال، يعكس التطلعات الاجتماعية للمواطن الأمريكي العادي. وكان رفضه الواضح لـ «الصواب السياسي» أحد العناصر الرئيسية في قدرته تقديم نفسه خارجا عن المؤسسة الحزبية الأمريكية السائدة، وجذب وتعبئة أصوات احتجاجية من قطاعات واسعة من الطبقات الشعبية والطبقات الوسطى، وخاصةً من البيض.

في الواقع، يكمن جزء من نجاح اليمين المتطرف، وترامب على وجه الخصوص، في قدرته على تضخيم الخطاب الاحتجاجي. أطلقت لورا كامارغو فرناندیز على نموذج التواصل هذا اسم «الخطاب الترامبي» (1)، الذي طورته بإسهاب في كتابها الأخير «الخطاب الترامبي». Origen y expansióndeldiscurso de la discurso de la ola reaccionaria global. تقدم كامارغو في هذا الكتاب تحليلاً متعمقًا لأسلوب التواصل لدى اليمين المتطرف المعاصر، مع إيلاء اهتمام خاص لشخصية دونالد ترامب. كل ذلك عبر استعراض مختلف الخطابات الفاشية، منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى استراتيجيات التواصل الحالية في العصر الرقمي.

لندخل مباشرة في صلب الموضوع، إلى ماذا تشيرين بحديثك عن «الخطاب الترامبي»؟

لقد اخترعت مصطلح «الخطاب الترامبي» من أجل هذا الكتاب، ولكن بوجه خاص لتحديد أسلوب التواصل الخاص بالموجة الرجعية العالمية، حيث يتضح بجلاء أن طريقة حديث دونالد ترامب وتواصله لعبت دورًا رئيسيًا. ليس فقط في أثناء حملته الانتخابية الأولى في عام 2016، ولكن طوال فترة ولايته الأولى. في الواقع، إن استراتيجيات عدة يستخدمها مثيرة للاهتمام، ليس فقط بالنسبة للولايات المتحدة، بل لجميع قوى اليمين المتطرف عالميا. استراتيجيات يجري تقليدها من قبل مختلف قادة هذه القوى الرجعية العالمية.

إذًا، باختصار، إنه نوع التواصل السياسي المميز للموجة الرجعية العالمية التي كان دور دونالد ترامب أساسيًا فيها ولا يزال.

ما هي التجديدات المبتكرة التي جاء دونالد ترامب، بالمقارنة مثلاً مع حركة المحافظين الجدد الأمريكيين الشماليين المحسوبين على "صقور" بوش أو حزب الشاي نفسه؟

في الحقيقة، هناك بعض أوجه التشابه. على سبيل المثال، القومية المتطرفة وخطاب تفوق الولايات المتحدة كقوة لا غنى عنها على الساحة الدولية. تذكروا "الصقور" المشهورين مثل بول وولفويتز وديك تشيني، وقبل كل شيء دونالد رامسفيلد، أحد مهندسي غزو العراق الرئيسيين. إنه أمر واضح للغاية في خطاباتهم.

وأعتقد أن الاختلافات تكمن حقيقة، بخصوص حالة ترامب، في أن أهداف التفوق العالمي للولايات المتحدة، بما في ذلك جوانبه العسكرية، تركز أكثر على التدابير الحمائية. أما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، فنحن نشهد الآن ترامب عدواني للغاية، ترامب جديدا شرسا، ذو خطاب وحشي للغاية، يطبق أفكارًا طُرحت مسبقًا مثل

لورا كامارغو

لورا كامارغو خبيرة في علم الاجتماع اللغوي وعضو في المجلس الاستشاري لمنظمة "فينتو سور"، وهي عضو في أنتيكابيتاليستاس، الفرع الإسباني للأممية الرابعة. ميغيل أوربان كريسبو، عضو سابق في البرلمان الأوروبي، وهو أيضًا عضو في أنتيكابيتاليستاس. نشر بواسطة فينتو سور وترجمه الى الفرنسية ويليام دوناورا. متاح أيضًا على شريط فيديو.

MANU MIELNIEZUK ©

الانكفاء الهوياتي والانعزالية والتقوقع الذاتي. إذًا هناك اختلاف مع "الصقور" بهذا الصدد.

وأكثر من ذلك، أعتقد أن ترامب يتميز بخطاب أكثر شعبوية مقارنةً بالخطاب الأكثر نخبوية - بل يمكن القول إنه أقرب حتى لخطاب المنظومة المؤسسية القائمة التي ينتقدها ترامب كثيرًا لدى "الصقور". فلدى ترامب، كما نعلم، طريقة التواصل هذه، هذه الثرثرة التلفزيونية، التي تجعله يبدو وكأنه أمريكي عادي بمعارضته "النخب العولمية". وبطريقةٍ ما، يمكن أن يكون "الصقور" اليوم جزءًا مما ينتقده ترامب باعتباره ممثلا للمنظومة المؤسسية القائمة.

يجسد جون بولتون خيطًا مشتركًا في كل هذا. فهو أحد وزراء الأمن إبان ولاية ترامب الأولى، وأحد "صقور" بوش. وقد أقاله ترامب للتو. وفي الواقع، جرى تجريده قبل أيام قليلة من الحماية اللصيقة الممنوحة له من قبل الحكومة. فلماذا هذه القطيعة؟ لأن ترامب بالتأكيد، في الوقت الراهن، مهووس بأعداء الداخل أكثر بكثير من التهديد الخارجي الذي ركز عليه صقور إدارة بوش جهودهم.

فضلا عن هذه النزعة المحافظة الجديدة الأمريكية الشمالية، طبعا مع القطائع التي ذكرتها، ما هي المصادر الأخرى التي تعتقد أن هذا "الخطاب الترامبي" يستند إليها؟

إنه يستوحي بوجه خاص الخطاب الشعبوي الذي يستخدمه اليمين المتطرف ويتداخل، إلى حد ما، مع ما أعرضه في الفصل الثاني من الكتاب، خطاب الفاشية في فترة ما بين الحربين العالميتين. هناك هذه الخطابة التي تبرز تعارض الشعب والنخب، وهو تعارض يقع في جذر الخطابة الشعبوية. ولكن يمكننا أيضًا إبراز عناصر أخرى، مثل الحاجة إلى قائد كاريزمي بمثابة منقذ للوضع للخروج من أزمة قوية جدًا.

والعناصر المهيمنة هي تلك المتسمة بالتبسيط والاستقطاب والهجوم والإهانة - وفي حالة ترامب - اللغة البذيئة الموجهة ضد من يسمون "أعداء الشعب". هذه هي العناصر الممكن العثور عليها في خطاب فاشية بين الحربين، ولكن الخيط المشترك هو الخطاب الشعبوي، الذي لا يتردد صداه لدى هؤلاء القادة فحسب، بل تستخدمه حاليًا بوجه خاص قوى اليمين المتطرف.

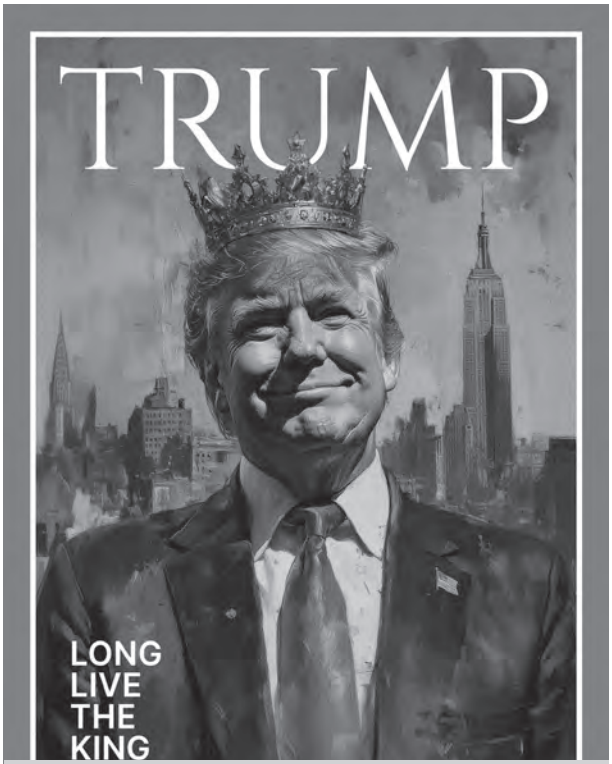

صورة تم إنشاؤها بالذكاء الاصطناعي لدونالد ترامب وهو يرتدي تاجًا، تم تصميمها لتشبه غلاف مجلة تايم. مقتطف من تغريدة من الحساب الرسمي للبيت الأبيض على تويتر.

إذا كان عليك ذكر ثلاث خصائص رئيسية لـ"الخطاب الترامبي"، فما هي هذه الخصائص؟

ليس من السهل اختيار ثلاث خصائص فقط، ولكنني سأقول إن العدوانية اللفظية إحداها. وبالطبع، ستكون الأكاذيب ثانيها، ومن بينها يمكن أن نجد أشكال عدوانية مختلفة، وطرقًا متنوعة لاستخدام ما نسميه بالأخبار الزائفة. وأخيرًا، ما يسمى بالخطاب المعادي للوضع القائم، والذي أعتقد أن جميع قوى اليمين المتطرف تستخدمه، والذي كان أساسيًا في حالة ترامب، حيث يضع النخب في تعارض مع الشعب. بينما، بطبيعة الحال، ينتمي ترامب وفريقه من الأوليغارشية التكنولوجية بشكل كامل إلى نخب الرأسمالية الأمريكية. إذًا هذه المحاور الثلاثة - العدوان اللفظي، واستخدام الأكاذيب، والخطاب المزعوم أنه معادٍ للوضع القائم - هي ثلاثة جوانب رئيسية يمكننا تسليط الضوء عليها، رغم أن الاختيار ليس سهلًا.

رأينا، على مر السنين، كيف أن «الخطاب الترامبي» لم يستوطن اليمين المتطرف الدولي فحسب، بل أيضًا اليمين المسيحي الديمقراطي الذي يتبنى نموذجه الاستدلالي. أود منك أن تتطرق إلى هذه الفكرة التي طورتها في كتابك.

هذا أحد العناصر الرئيسية التي أحللها وأعرّفها بأنها سيرورة تطرف اليمين، وهي لا تؤثر على اليمين المسيحي الديمقراطي فحسب، بل على كل أطياف اليمين. ثمة تأثير غير مباشر، حيث حلّ محل الخطاب الأكثر تكنوقراطية وبرودًا، والقائم على الأرقام، المميز لليمين، خطاب أشد راديكالية -شهدناه أيضًا في إسبانيا، إذ حاول اليمين لفترة تجسيد نوع من الوسط، وهي صورة تلاشت إلى حد كبير.

وتؤثر عملية التجذر هذه على اليمين في معركته من أجل حيازة مساحة سياسية ينازعها إياه اليمين المتطرف. حدا بي ذلك، على صعيد استدلالي، إلى اعتبار إيزابيل دياز أيوسو Isabel DíazAyuso ، رئيسة جماعة مدريد للحكم الذاتي، على سبيل المثال، أحد أفضل الأمثلة على الترامبية داخل حدود الدولة الإسبانية، باستخدام استراتيجيات مشابهة جدًا. لا يتجلى ذلك هنا فقط، بل في الحملة الانتخابية الألمانية أيضًا، وقد رأينا ذلك في حقيقة أن اليمين الأمريكي، أي الحزب الديمقراطي، برغم أنه لم يتبنَّ أسلوب ترامب الكاشط والمهَوِّل، فإنه لم يتمكن من التمايز عنه سياسيًا. وأعتقد أن ذلك كان أيضًا أحد مفاتيح هزيمة مشروع كامالا هاريس.

وبالتالي، نشهد سيرورة التجذر هذه، ليس أيديولوجيًا فحسب، بل أيضًا في خطاب اليمين في إطار منافسته، غير الحميد بأي شكل من الأشكال، لليمين المتطرف.

وإذا أردنا البحث عن سبق "للخطاب الترامبي" في إسبانيا، فماذا سيكون؟

السابق الأكبر ليس من إسبانيا، بل من إيطاليا، إنه سيلفيو برلسكوني. أعتقد أنه يمكننا قياس إلى أي مدى مهد الأخير الطريق لما سنراه لاحقًا لدى هؤلاء القادة العديدين، وخاصة ترامب. وهذا أمر أكدته أنت نفسك في عدة مناسبات. العلاقة مع وسائل الإعلام، ووجود مشاكل قانونية، والمعاملة الحميمة والأليفة تجاه الأشخاص المراد التأثير عليهم، وأخيراً المعاملة العدوانية الشرسة والمدمرة إزاء الخصوم السياسيين.

لذا فإن برلسكوني هو السابق الكبير الذي مهد طريق "الخطاب الترامبي". في إسبانيا، كما سألت، يمكنني التفكير في شخصيتين يمكن ربطهما بهذا كله: خيسوس جيل Jesús Gil ورويزماتيوس Ruiz Mateos. خيسوس جيل المرتبط بالعقارات، والتخطيط العمراني، مع ما لديه من مشاكل عدالة مختلفة، ورويزماتيوس ذو السمات المشابهة تمامًا. وكلاهما مثال على ابتذال الخطاب السياسي، لأغراض التلاعب، وكما قلت، كلاهما عدواني لفظي وعدائي جدا تجاه المراد القضاء عليه. لذا، باختصار، فإن السابق الأكبر هو برلسكوني، وفي إسبانيا، جيل ورويزماتيوس.

أخيرًا، أود منك أن تنصحنا بكتاب، بالإضافة إلى كتابك، من شأنه إتاحة التعمق أكثر في ديناميات هذا "الخطاب الترامبي».

لقد انتهيت للتو من قراءة كتاب "Lasredes son nuestras"، من تأليف مارتا ج. فرانكو، والذي أعتقد أنه يقترح فكرة مثيرة للاهتمام فيما يتعلق بإحدى مواضيع الساعة. ماذا نفعل بالشبكات؟ في أي منها نبقى؟ ماذا نفعل بمنصة ـ X؟ ماذا نفعل بمكبر الصوت الكبير هذا الذي تمثله الشبكات الاجتماعية حاليًا لليمين المتطرف، وكيف يمكننا بناء شبكاتنا الخاصة؟

ثم هناك جدل حول ما إذا كان ما نحتاجه حقًا، كما يقترح كتابي الخاص، هو عدد أكبر من النشطاء الاجتماعيين وعدد أقل من مديري الشؤون المجتمعية ...

ماذا عن فيلم وثائقي؟

بما أن الكتاب يشير أيضًا في كثير من الأحيان إلى الإبادة الجماعية التي تحدث حاليًا في غزة، هناك فيلم وثائقي عن اليمين الإسرائيلي المتطرف بعنوان "ملفات بيبي"2) The Bibi files) والذي أراه مثيرا جدا للاهتمام. لا يتعلق الأمر بالضبط بمسألة "الخطاب الترامبي"، ولكنني أعتقد أنه من الأهمية بمكان أيضًا أن نرى كيف تستخدم هذه الشخصيات اليمينية المتطرفة قضايا فظيعة مثل الإبادة الجماعية، التي اعتقدنا أنها مضت بلا رجعة، لإخفاء مشاكلهم الخاصة تجاه القضاء. توثق ملفات بيبي كل هذا بصورة جيدة جدا.

آه نعم، يوجد فيلم وثائقي ذو علاقة كبيرة بكتابي، اسمه "حافة الهاوية "3) The Brink) ، إنه فيلم وثائقي عن ستيف بانون Steve Bannon وحملة ترامب الأولى عام 2016. وأعتقد أنه فيلم وثائقي موصى به جدا لفهم أفضل لتأثير بانون، ليس فقط على الموجة الرجعية الأمريكية، ولكن أيضًا على كل ما حاول القيام به مع الحركة التي أسسها (4) بعد ذلك.

وختاما ، بأي فيلم توصي في هذا الصدد؟

لا يوجد الكثير، ولكنني شاهدت في الأيام القليلة الماضية فيلم "TheApprentice"، ذو علاقة كبيرة بالموضوع. يتناول شباب ترامب، عندما كان في بداية عمله بمجال العقارات مع عائلته، وعندما تزوج إيفانكا، وحين أصبح لاحقًا مقدم برامج تلفزيون الواقع. في ذلك الوقت، على ما أعتقد، وهذه إحدى افتراضات الكتاب، تبنى الكثير مما سيصبح فيما بعد أسلوب دونالد ترامب الفريد في التواصل، إذا جاز لنا القول.

وهو يسلط الضوء جيدًا على تأثير محام شاب (5)، كان مثليًا أيضًا، على نهجه السياسي وطريقة صياغته لخطابه، حيث الهجوم، والهجوم، والهجوم، والهجوم، إحدى السمات الأساسية؛ وحيث إنكار كل شيء سمة أخرى، وبعبارة أخرى الكذب كلما اقتضت الضرورة. وحيث عليك أن تحيط نفسك بأشخاص يقولون "نعم" لكل شيء. لذا أعتقد أنه يمكننا أن نرى اليوم حقًا تأثير هذه العناصر الثلاثة التي تظهر في فيلم "TheApprentice".

22 فبراير 2025

(*)لورا كامارغو، خبيرة في علم الاجتماع اللغوي وعضو المجلس الاستشاري لمنظمة «فينتو سور"، وهي عضو في منظمة «أنتيكابيتاليستاس»، الفرع الإسباني للأممية الرابعة. نشر الحوار من قبل vientosurوترجمه إلى الفرنسية وليام دونورا WilliamDonaura

https://vientosur.info/laura-camargo-el-trumpismo-discursivo-ha-impulsado-un-cambio-radical-en-la-forma-de-comunicar-de-las-derechas-globales/.

ومتاح أيضًا على شكل فيديو

https://www.youtube.com/watch?v=sfo5vwbwdUc .

إحالات:

اخترنا ترجمة عبارة "Trumpismodiscursivo" بـ "الخطاب الترامبي" وتركناها بين مزدوجتين لتعكس حقيقة أن تحليل المؤلف يركز على نوع من الخطاب الذي أشاعه ترامب وطوره، وليس على خطاب ترامب نفسه. وقد فضّلنا هذا المصطلح على "الخطاب من النوع الترامبي"، وهو مصطلح مرهق للغاية، وعلى " الخطابة الترامبية" التي تختزل إلى مجرد أدوات جدلية شكلية، وعلى "الترامبية الخطابية" التي تركز بشكل كبير على ترامب نفسه ويصعب فهمها في نهاية المطاف. (ملاحظة من المترجم)

يمكن مشاهدة الفيلم على منصةFilmin، تحت عنوانExpediente Netanyahu. حتى وقت كتابة هذا التقرير، لم يكن الفيلم متاحًا على على شكل VOD في فرنسا. ملاحظة المحرر

ترجمه إلى الفرنسية ستيف بانون، le Grand Manipulateur، متاح على نظام الفيديو حسب الطلب.

الحركة The Movementمنظمة سياسية أوروبية أنشأها ستيف بانون في عام 2017، بعد طرده من إدارة ترامب، بهدف جمع الحركات اليمينية أو المحافظة الأوروبية قبل الانتخابات الأوروبية لعام 2019، ملاحظة المحرر

يتعلق الأمر بروي كوهن الذي كان مستشاراً قانونياً لدونالد ترامب ووالده. ملاحظة المحرر

في انتظار الربيع الروسي

حل الشتاء السياسي الروسي واستقر حتى قبل اندلاع النزاع المسلح مع أوكرانيا، الذي تصفه تلطيفًا الوثائق الرسمية بـ"العملية العسكرية الخاصة". فقد أُستُعمِلت جائحة كوفيد19- في العام 2020 ذريعةً لتقييد حرية الاجتماع بشدة. ثم مدَّدت تعديلات دستورية ولاية الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الحاكم من 20 عامًا ، لـ12 عامًا إضافية، ما جعله فعليًا رئيسًا مدى الحياة.

بقلم بوريس كاغارليتسكي (*)

وبررت الجائحة أيضا تغيير قوانين الانتخابات، بنحو جعل مراقبة التصويت وحساب الأصوات شبه مستحيلين. ومع ذلك، حاول الناخبون في موسكو، في انتخابات مجلس الدوما في خريف عام 2021، انتخاب مرشحين من المعارضة في معظم الدوائر. وكانت هذه الفضيحة في العاصمة غير مقبولة. وتم حل المشكلة بفضل التصويت الإلكتروني عن بُعد (ت.إ.ع.ب). فبمجرد إضافة نتائج هذا التصويت إلى الحصيلة العامة، تم فجأة تجاوز مرشحي المعارضة (غالبا ما كانوا متقدمين بفارق كبير) من قبل مرشحي الحزب الحاكم. وقد استسلمت المعارضة البرلمانية، المعاقبة رسميا، لهذه النتيجة وفقدت كل أهمية سياسية. ولم يعد يُنظر إلى هذه الأحزاب حتى كقناة تتيح للمواطنين التعبير عن استيائهم من سياسات الحكومة.

القمع المنهجي

لم يبقَ سوى المعارضة خارج النظام. كان أليكسي نافالني ممثلها الأكثر تأثيرًا. لكن، سرعان ما دمر قانون قمعي جديد شبكة المكاتب التي أنشأها على صعيد البلد. واعتُقل قادتها، أو أُجبروا على المنفي. أما نافالني نفسه، الذي كان عائدًا من ألمانيا حيث كان يتلقى العلاج بعد محاولة تسميم (مزعومة)، فقد اعتُقل في المطار، وتوفي في الحبس في 16 فبراير 2024. ومؤخرًا، قضت محكمة روسية بأن مجرد ذكر اسم "أليكسي" يمكن اعتباره أمارة على التطرف.

وفي إطار حملة القمع الأوسع نطاقًا ضد المعارضة، سُنَّ قانون "العملاء الأجانب" سيئ الذكر. يمكن، بموجب هذا القانون، تصنيف أي مواطن روسي، أُعتُبر تحت تأثير خارجي، عميلا أجنبيا دون أي رقابة قضائية. ويُمنع من يتم تصنيفهم على هذا النحو من التدريس في الجامعات العمومية، ومن المشاركة في الحملات الانتخابية، بل ويُخضعون لقيود على الدخل الناجم من أنشطة إبداعية أو تأجير عقارات. ويستمر توسيع نطاق القانون بأشكال حظر وقيود جديدة.

وقد ضغطت السلطات بنشاط على "العملاء الأجانب" المعيَّنين كي يهاجروا، في حين اضطر من بقوا في روسيا إلى الامتثال لمتطلبات بيروقراطية مُهينة عديدة تحت طائلة غرامات وسجن في نهاية المطاف. وفضلا عن ذلك، أُحدِث سجل للإرهابيين والمتطرفين، حيث يمكن تسجيل أي مواطن بقرار إداري بسيط. وبمجرد التسجيل، لا يفقد الأفراد إمكان الوصول إلى حساباتهم المصرفية فحسب، بل يُمنع عليهم أيضًا إجراء معاملات مصرفية، حتى النقدية منها، دون ترخيص خاص.

مع الحرب، عمليات التطهير الممنهجة

بهذا النحو، حتى قبل وصول الدبابات الروسية إلى كييف في 24 فبراير 2022، كان قد تم بالفعل إرساء نظام واسع من إجراءات القمع، ما أدى إلى تجميد حياة البلد السياسية. و استُخدم النزاع المسلح فقط كذريعة لتضييق الخناق أكثر. وجرى سن عشرات القوانين القمعية الإضافية أو تشديدها. ويُقدّر عدد السجناء السياسيين بما بين بين 1000 و3000 ، برغم أن مؤشرات تدفع إلى اعتقاد أن هذه الأرقام أقل بكثير من الواقع.

أجمعت أحزاب مجلس الدوما على مساندة سياسة الحكومة. بيد أنها تعرضت أيضا لعمليات تطهير ممنهجة. وتم وصف المناضلين والسياسيين المعتبرين غير موثوقين بأنهم عملاء أجانب (مثل أوليغ شين Oleg Shein من حزب روسيا عادلة ويفغيني ستوبين Ievgueni Stoupine من الحزب الشيوعي لفدرالية روسيا). وتم فصلهم من مناصبهم الحزبية، واستبعادهم من القوائم الانتخابية وإجبارهم على مغادرة البلد. التزم كثيرون الصمت خوفًا، لكن حتى هذا لم يضمن دوما سلامتهم.

انهالت موجة عمليات التطهير على الجامعات، ما أدى إلى فصل أساتذة مشتبه في كونهم منشقين. وأغلقت صحف ومجلات ومواقع إلكترونية. وجرت عدة محاولات فاشلة لحجب شبكات التواصل الاجتماعي، لكن الدولة اصطدمت بعقبات تكنولوجية. وبدا أن النزوح الجماعي للأشخاص غير الراضين عن الوضع، بالإضافة إلى هروب الشباب الفارين من التجنيد في خريف 2022، قد وضع حدًا للنشاط المدني المستقل، ما حول البلد إلى

بوريس كاجارليتسكي

هذا المقال أرسله بوريس كاجارليتسكي، المناضل الاشتراكي والمعتقل السياسي الروسي المناهض للحرب من مستعمرة تورزوك العقابية في روسيا، حيث يقضي عقوبة بالسجن لمدة خمس سنوات بتهمة "تبرير الإرهاب". الترجمة الإنجليزية بقلم ديمتري بوزيدايف لمجلة LINKS الدولية للتجديد الاشتراكي، الترجمة الفرنسية بقلم سيلفي باركيه.

SKILPADDLE - عمل خاص، CC BY-SA 3.0

صحراء سياسية. هذا على الأقل انطباعُ الوهلة الأولى، لكن تمكن رؤية سيرورات أعمق غالبًا ما تفلت من انتباه المراقبين العرضيين.

المقاومة السرية

يكشف واقع وصول الروس إلى موارد المعارضة على إنترنت عن صورة أشد تعقيدًا. لا يكتفي منتقدو النظام بالقدرة على البث من خارج، على غرار "الأصوات المعادية" التي كانت تتسلل سابقا إلى المنازل السوفيتية عبر الراديو. فالمعركة المستمرة حول إنترنت دليلٌ وجودِ مقاومة شعبية واسعة النطاق. وكلما جرى إبطاء موقع يوتيوب، أو حجب خدمة أخرى أو شبكة اجتماعية أخرى في روسيا، يقوم عدد لا يحصى من خبراء التكنولوجيا بتطوير مُسرعات وبرامج التفاف على القيود، وكثير منها مجاني كليا.

يشهد عدد السجناء السياسيين المتزايد على تصاعد الاعتراض. وفضلا عن ذلك، تغيرت خصائصهم الاجتماعية والثقافية بنحو جذري. ففي الماضي، كان نموذج السجين السياسي شابًا من الانتلجانسيا، لكن عددا متناميا من السجناء هم اليوم بعمر متوسط، غالبًا ما يكونون أقل تعليمًا ويشتغلون في عمل بدني. وتختلف آراؤهم السياسية بشكل ملحوظ عن آراء المعارضة الليبرالية الحضرية. فهم على سبيل المثال، يميلون إلى النظر ايجابيا إلى الماضي السوفيتي، خاصة سياساته الاجتماعية. وبهذا المعنى، أصبحت حركة الاحتجاج شعبية أكثر وأشد تركيزًا على القضايا الاجتماعية و يسارية أكثر.

حملة ناديجدين

ظهر مؤشر هام على إرادة التغيير لدى المجتمع في يناير 2024، مع حملة ترشيح بوريس ناديجدين (1) للرئاسة. وكان مجرد السماح له بجمع توقيعات يشير إلى أن قسما من النخبة الحاكمة حريص بالأقل على الحفاظ على مظهر إجراءات ديمقراطية. كان ناديجدين، برغم اعتدال مواقفه السياسية، يعرض نفسه كـ»مرشح مناهض للحرب». وقد مثَّل نموُ مكاتب حملته الانتخابية السريعُ على صعيد البلد مفاجأة كبيرة. فقد انتشرت "كالفطر بعد المطر"، بمشاركة كبيرة من مختلف الجماعات اليسارية. وعندما جمعت حملة ناديجدين 000 300 توقيع - فاقت بكثير الـ 000 100 المطلوبة - تم استبعاده من السباق الانتخابي كما كان متوقعًا. بيد إن هذه الواقعة أبرزت بجلاء وجود إمكانات احتجاج كبيرة في البلد.

وبينما استقبل المنفيون الليبراليون المعارضون حملة ناديجدين بقدر من التشكك في أفضل الأحوال، ساندها إلى حد كبير من بقي في روسيا من المناضلين اليساريين، وإن كان ذلك بشكل نقدي. ومن اللافت للنظر أيضًا أن المنصات اليسارية على إنترنت تسعى جاهدة، برغم من كل المخاطر والتحديات، لمواصلة العمل من روسيا. وهذا غالبا ما يجبرها على حذر أكثر في ما تبدي من انتقادات، لكنه يتيح بقاءها على اتصال مع جمهورها. وحتى وسائل الإعلام الليبرالية القليلة التي ظلت حاضرة في روسيا اضطرت إلى الاعتماد على صحفيين ومعلقين يساريين.

التضامن مع السجناء الروس

كانت المعارضة في المنفى، بعد وفاة نافالني، عرضة للعديد من الفضائح والصراعات. وطبعا، لم يشارك جميع ليبراليي المهجر في هذه الصراعات. فعلى سبيل المثال، ركز فلاديمير كارا-مورزا Vladimir Kara-Murza ، الذي قضى فترة مديدة في السجن، وأُطلق سراحه في أغسطس 2024 في إطار عملية تبادل السجناء بين روسيا والغرب، كل جهوده على دعم السجناء السياسيين الذين ما زالوا في روسيا. ومع ذلك، قلما أسهم المناخ العام بين المنفيين في تعزيز مصداقيته.

وبالمقابل، عزز المناضلون/ت الذين بقوا في روسيا، والمجموعات في الخارج التي حافظت على صلاتها معهم، مناخًا من التضامن والتعاون. وأصبح دعم السجناء السياسيين محورًا أساسيًا لأنشطتهم (2). وقام الناس بجمع تبرعات، وإرسال طرود بريدية، وكتابة آلاف الرسائل للتعبير عن تضامنهم مع من هم خلف القضبان. وقد أبرزت تجربة جمع التبرعات للسجناء انبثاق ثقافة مستقلة تعمل دون دعم خارجي، ودون إعانات من الأوليغارشية أو دعم من الدولة.

ذوبان الجليد

يمكننا أن نلاحظ، في استنتاج أول، أن سيرورات كامنة تعيد تشكيل ميزان القوى داخل المجتمع. وعندما يبدأ الربيع السياسي القادم، سيتكشف المشهد الذي تحت الجليد مختلفًا بشكل ملحوظ عن السابق.

ولكن هل ثمة باعث على الأمل في بزوغ ربيع، وأكثر من ذلك هل من داع أكبر للأمل في أن يبزغ عما قريب ؟ يبدو أن هكذا أمل قائم.

«يشهد العدد المتزايد للسجناء السياسيين أيضًا على زيادة المعارضة».

لم يكن صعود الاستبداد في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مصادفة، ولا نتيجة لإرادة قدامى من الأجهزة الأمنية استولوا على مناصب رئيسية في الدولة. بل على العكس، لم يكن تصعيد النزاع مع أوكرانيا، والزحف على كييف في عام 2022، بدافع التوترات الدولية فحسب، بل أيضًا التناقضات الداخلية. إذ كان مأمولا أن تؤدي "حرب ظافرةٌ صغيرةٌ" إلى توطيد المجتمع، على غرار ضم شبه جزيرة القرم في العام 2014. ولكن برغم أن هذا النصر كان سريعًا وغير دموي، سارت الأحداث هذه المرة بشكل مغاير تمامًا. فالحرب لم تحل أياً من مشاكل روسيا القائمة فحسب، بل خلقت مشاكل جديدة. فقد أتاح الصراع للحكومة تأخير إصلاحات طال انتظارها إلى أجل غير مسمى، لكن التناقضات والتوترات إنما تراكمت، حتى داخل النخبة الحاكمة.

حدود اقتصاد الحرب

بالطبع، استفاد كثيرون من الحرب في أوكرانيا ومن الصفقات العسكرية، لكن قطاعات الاقتصاد المدنية تضررت. وبالموازاة، يطرح احتمال التوصل إلى اتفاق سلام وشيك تحدياتٍ جديدةً كبيرة. لم يحدث انهيار الاقتصاد الروسي بفعل العقوبات، بل إنه يُبدي نموًا ملحوظًا، لكنه أصبح متناقضًا بشكل متزايد. ولم يؤدِ تقليص الروابط مع الغرب إلى إعادة توجيه متماسكة نحو الشركاء التجاريين من دول البريكس (البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا). وأصبح هذا واضحًا بشكل خاص عندما خفضت الصين والهند مشترياتهما من النفط الروسي، ما يؤكد حقيقة أنه ما عدا صادرات المواد الخام ليس لدى الشركات الروسية سوى القليل لتقدمه للأسواق العالمية.

وفي الوقت ذاته، تتقلص القطاعات ذات الأهمية الاجتماعية بسرعة، وبات الإنفاق العسكري محرك النمو الاقتصادي الرئيسي. لكن إبقاء مستوى الإنفاق الدفاعي هذا بعد وقف إطلاق النار سيكون صعبًا، ليس ماليا وحسب، بل حتى سياسيا. وترتكز مكافحة التضخم على رفع البنك المركزي سعر الفائدة الرئيسي، ما يجعل الائتمان غير متاح لقسم كبير من قطاع الأعمال، ويخنق الطلب غير العسكري. ويبدو جليا باطراد أن انتقالا إلى تنمية سلمية

سيتطلب إعادة توزيع كثيفة للموارد، وتغييرًا في الأولويات والمقاربات، الأمر المستحيل دون تغيير جذري في عمليات صنع القرار. وبالتالي فإنه لا مفر من تغيير سياسي.

وحتى قسم كبير من النخبة الحاكمة بدأ يستوعب هذه الحقيقة. ربما تحلم غالبية المجتمع والطبقة الحاكمة بالعودة إلى الأيام "السعيدة" للعام 2019، ولكن للأسف هذا مستحيل - بسبب تطور المشهد الجيوسياسي المتغير في ظل حكم ترامب، والصعوبات الاقتصادية والإرهاق العميق المتراكم في جميع طبقات المجتمع بعد "عهد بوتين المديد". هذه العوامل مجتمعة لا تجعل التغيير منتظرا من أمد بعيد وحسب، بل حتميًا أيضًا.

المستقبل سينبثق من السجون

إن كان بوسع اتفاقات السلام أن تخفف التوترات العالمية، فلن تحل مشاكل روسيا الداخلية؛ بل على العكس ستفاقمها (ما يفسر جزئياً حجم المصاعب المعترضة عملية السلام ذاتها). إن التغيير سائر؛ والسؤال الوحيد هو ما هي المصالح التي ستشكله وعلى أي مبادئ ستُصاغ الأولويات الجديدة.

تستدعي التناقضات الاجتماعية والاقتصادية حلولاً سياسية. لم تفلح حملة قمع الفترة 2020-2024 سوى في تجميد الوضع مؤقتًا، ولكنها خلقت أيضًا ظروفًا جديدة ستؤثر حتمًا على التطورات المستقبلية. وكما أشار المدون اليساري الشهير قسطنطين سيومين Konstantin Syomin في العام 2023، باتت مطالب المشاركة السياسية تمر عبر نظام السجون. لن يقدر المنفيون الليبراليون ولا البيروقراطيون الحاليون على صياغة أفكار جديدة لتطوير البلد؛ فهم لا يزالون سجناء الماضي.

«إن التغيير الذي طال انتظاره لا مفر منه»

عندما سيبدأ التغيير، سيقترح المجتمع نفسه قادة جُددا. بعضهم موجود حاليًا في الخنادق في أوكرانيا، وبعض الآخر يحاول دعم المبادرات المحلية، أو الحفاظ على بقايا وسائل الإعلام المستقلة. وقد يجد السجناء السياسيون اليوم أنفسهم في طليعة الجهود الرامية إلى بناء مؤسسات اجتماعية جديدة، وتخليص إسطبلات أوجياس من المشكلات المتراكمة. إنهم مستعدون للعمل من أجل تغيير بلدهم والعالم.

لكنهم في الوقت الراهن أحوج في المقام الأول إلى الدعم والتضامن. بعد ذلك، ستتبع الأحداث مسارها الطبيعي.والطريقة التي يحدث بها ذلك معروفة جيدًا من التاريخ الروسي.

18 فبراير 2025

أرسل هذا المقال بوريس كاغارليتسكي، وهو مناضل اشتراكي، وسجين سياسي روسي مناهض للحرب، من مستعمرة تورزوك العقابية في روسيا، حيث يقضي عقوبة بالسجن لمدة خمس سنوات بتهمة "تبرير الإرهاب"

إحالات:.

1) Russia: Boris Kagarlitsky on » the Nadezhdin phenomenon », Boris Kagarlitsky, 23 janvier 2024, Links.

2) Boris Kagarlitsky : “Une lettre de » prison sur la situation de la gauche russe” », Boris Kagarlitsky,

le 7 avril 2024, Inprecor. https://inprecor.fr/node/4402

ظهرًا ضد بوتين: أشخاص يصطفون في طابور لدخول مركز اقتراع في اليوم الأخير من الانتخابات الرئاسية في موسكو، روسيا عام 2024. © Maxim Shemetov / Reuters. رويترز.

الانهزامية الثورية بين الأمس و اليوم

يفحص سيمون حنة مختلف مواقف اليسار عقب غزو روسيا لأوكرانيا، وكذا كيف ينبغي فهم موقف لينين من "الانهزامية الثورية" في حالة الحرب الجارية.

بقلم سيمون حنة (*)

«نظرة الجماهير للأمور عملية وليست نظرية ". ف.إ. لينين (1)

أبرز النقاش داخل اليسار بصدد الحرب في أوكرانيا خلافاتٍ جديةً حول المسائل الدولية، وكان بعضها يختمر ويتعمق منذ أكثر من عقد. كانت ثمة، بين العامين 2001 و2011، إجماع عالمي في اليسار الاشتراكي حول مسألة الإمبريالية وكيفية التصدي لها. كانت تلك حقبة تعدياتٍ صريحةٍ وجلية على سيادة دول مثل أفغانستان والعراق من قبل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وقوى إمبريالية أخرى. أثار هذا العدوان الإمبريالي غير المقنع حركات جماهيرية عالمية ضد ما يسمى "الحرب على الإرهاب".

«لدى الجماهير نظرة عملية للأمور وليس نظرية (V.I. Lénine (1»

كان غزو أفغانستان أو العراق، بنظر الاشتراكيين، بسيطًا مثل الغزو الأمريكي لفيتنام: معارضة الحرب ومساندة حق هذه الشعوب في مقاومة الاستعمار. لا نختار الدفاع عن بلد ما أو عدمه بسبب طبيعة حكومته أو قيادة حركة المقاومة الوطنية فيه، مثلما لا نرفض التطلعات الوطنية للفلسطينيين بمبرر سياسات حركة حماس الرجعية. هذه مسألة أساسية، ليس اشتراكية حتى، بل مجرد مسألة ديمقراطية برجوازية مؤداها أن لكل أمة الحق في تقرير مصيرها، ولا يمكن لأي أمة أخرى فرض تغيير للنظام باستخدام الصواريخ والدبابات. إنها مبادئ واضحة وبديهية، لدرجة أن السواد الأعظم من اليسار الاشتراكي أجمع عليها في تلك الحقبة.

شكل اصطفافية جديد

بيد أننا شهدنا بداية خلاف وتصدع في المنظور العام بشأن ليبيا في العام 2011. كانت ثمة، إبان الربيع العربي، انتفاضةٌ مسلحة من قِبل مجموعات عرقية مختلفة ضد معمر القذافي. كانت انتفاضة غير منظمة وفوضوية في البداية. وكانت أول حرب في القرن الحادي والعشرين بات فيها التقسيم والتقسيم الفرعي الإمبرياليين أشد تعقيدًا. كان السبب في البداية هو دور الحركة الديمقراطية ضد ديكتاتوريات "مناهضة للإمبريالية". ثم، بدأ بعض اليسار يقلل تدريجيا دورَ القوى الإمبريالية الأخرى غير الواقعة في أوروبا الغربية أو أمريكا الشمالية، روسيا والصين بوجه الدقة.

بعد أن استشعر حلفُ شمال الأطلسي فرصةَ إطاحة نظام كان أحيانا شوكة في خاصرة الغرب، تدخل مساندا الانتفاضة، وداعما إياها جويًّا لمنع إبادتها على يد قوات القذافي. لم يكن ذلك احتفاءً من الإمبريالية الغربية بانتفاضة شعبية، بل حسابا نفعيا يرى في إسقاط القذافي أمرا مطابقا لمصلحة الإمبرياليين الغربيين. وبالطبع كان أيضًا في مصلحة الليبيين/ت

رؤية مشوهة

ثم كانت حالة سوريا، حيث قمع نظام بشار الأسد بضراوة الحركة الأولى من أجل الحقوق الديمقراطية، ما أغرق البلد في حرب أهلية دامت عقدًا. كان الإمبرياليون الغربيون أقل إحجاما عن التدخل في هذه القضية، بينما ساعدت الإمبريالية الروسية حليفها الأسد بسعادة، بمده بمعدات ومرتزقة ومستشارين عسكريين ودعم مالي للحكومة. كما تدخلت إيران وحزب الله لسحق الانتفاضة الشعبية. وتدخلت الولايات المتحدة في شمال سوريا لمساعدة وحدات حماية الشعب الكردية باستهداف تنظيم داعش، على الرغم من أنها كفت عن الإسهام في تدمير جيش الحكومة السورية. وقد سبب هذا الصراع انقساما كبيرا في اليسار العالمي، حيث جرى انحياز إما إلى الانتفاضة الكردية أو إلى نظام الأسد على أساس أنه "معادٍ للإمبريالية"، بينما هو في الواقع تابع للإمبريالية الروسية. وكان موقف البعض في اليسار ملتبسا فيما يخص الانتفاضة العربية ضد الأسد، لكنه كان متعاطفا إلى حد بعيد مع الأكراد المعتبرين حركة تحرر وطني حقيقية ذات توجه سياسي يساري. وفي النهاية، سُحقت الثورة الشعبية، وهلل البعض في اليسار لسقوط حلب، وهم من طينة اليساريين الذين دعموا غزو الدبابات الروسية للمجر في العام 1956 لإخماد الانتفاضة العمالية.

حالة أوكرانيا

الحرب في أوكرانيا هي ما أثار الآن جدلًا محتدمًا حول التكتيك والإستراتيجية، وخلافًا

SIMON HANNAH سايمون هانا

سايمون هانا كاتب ومناضل ونقابي، وعضو في منظمة المقاومة المناهضة للرأسمالية، الفرع البريطاني للأممية الرابعة. يعيش في جنوب لندن. يشغل منصب نائب سكرتير الفرع في نقابة "L›UNISON"، وقد ألّف العديد من الكتب، بما في ذلك "حزب بداخله اشتراكيون: تاريخ اليسار العمالي". نُشر هذا المقال في مايو 2022 في مجلة تيمبست TEMPEST الإلكترونية. ترجمه فرانسوا كوستال. يعني مصطلح "اشتراكي"، بالنسبة للمؤلف، اليسار خارج حزب العمال، ويترجم أحيانًا بكلمة ""اليسار""، وأحيانًا أخرى بكلمة "الاشتراكيين".

تامًا حول دور الإمبريالية في هذا الصراع. يتعلق الخلاف الجوهري بالمستوى الذي يحق فيه لأوكرانيا الدفاع عن نفسها ضد غزو من قوة إمبريالية. يشجع البعض في "اليسار" روسيا، معتقدا أن روسيا تشن الحرب لنزع النازية عن أوكرانيا. لن أتناول هذه الحجة بسبب سخافتها البالغة. بيد أن آخرين يستنتجون أنه دوران أوكرانيا في فلك الغرب-على سبيل المثال، طلبت الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي- يجعل فولوديمير زيلينسكي وحكومته عملاء بالوكالة لواشنطن ولندن وباريس وبرلين. ولذلك يعتبرون الصراع مثالاً لحرب بين إمبرياليات، بين روسيا والغرب الذي يحارب عبر تابعه في كييف.

إن الاشتراكيين الذين ينكرون حق أوكرانيا في الدفاع عن نفسها ضد غزو من قوة إمبريالية، بسبب التوجه السياسي للحكومة الأوكرانية، قد فقدوا كل فهم للمسألة القومية، ولكيفية رد الشعب الأوكراني فعليًا على الغزو الروسي. إنهم في الواقع يعارضون حق تقرير المصير لأنهم لا يحبون الحكومة الأوكرانية، وهو أمر غير ذي صلة بمناقشة المبادئ. فوِفْق هكذا منطق، لا يجوز لأحد أن يدعم نمور التاميل أو مقاتلي حركة حماس، أو حتى الجمهوريين الأيرلنديين، وكلها حركات كانت (ولا تزال) ذات مواقف رجعية في العديد من المسائل، ومؤيدة للرأسمالية. كما أنهم يتذرعون بأن أوكرانيا تريد الانضمام إلى حلف الناتو للإيحاء بأنها هي ذاتها قوة إمبريالية.

ونظرا لاعتبار أوكرانيا تعمل بالوكالة عن الغرب، وتحصل على صواريخ مضادة للدبابات والطائرات، يضع البعض علامة تساوي بين روسيا وأوكرانيا، مستنتجا أن كلا الطرفين يجب أن يخسر. كيف يمكن لكلا الطرفين أن يخسر؟ سيكون الأمر في الواقع مأزقًا طويل الأمد سيستمر لسنوات، مع سقوط عدد لا يحصى من القتلى.

أساطير وحقائق

يحاول آخرون توخي دقة أكثر، قائلين إن على الشعب الأوكراني أن يقاوم، ولكن عليه أولاً إطاحة حكومته لأنها تدعم الإمبريالية الأمريكية. بهذا النحو، يزعمون بأن الطبقة العاملة الأوكرانية بحاجة، في مواجهة الغزو الحالي، حيث الدبابات والمدرعات الروسية تقتحم مدنها الرئيسية، إلى تشكيل حركة جماهيرية واعية طبقيًا. ويفترضون أن هكذا حركة ستكون ثورية بطبيعتها، ومدركة تمام الإدراك الدور الرجعي لحلف الناتو والإمبريالية الغربية، وستنجح في إطاحة الحكومة قبل إعلان حكومة جديدة على غرار كومونة باريس. عندها فقط سيكون من المشروع إطلاق "دفاع اشتراكي" عن البلد. ماذا ينفع الشعبَ الأوكراني أن يكون اشتراكيون في الغرب يتمنون له وضعا سياسيا مغايرا تماماً وملائماً أكثر ؟

في رد على غزو جيش يقوده من أشرفوا على ذبح الثورة السورية وتدمير غروزني، من المفهوم أن يدافع الشعب الأوكراني- حتى أولئك الذي يكرهون زيلينسكي ويعارضونه وسياساته-عن بلده ومجتمعاته ضد الاحتلال الروسي. وكما قال ف. إ. لينين: "عندما يقول عامل إنه يريد الدفاع عن بلده، تكون غريزة الإنسان المضطهد هي التي تنطق فيه" (2).

«في ليبيا، تدخل الناتو ضد القذافي. لم يكن ذلك احتفاءً بثورة شعبية، بل كان ذلك في إطار حسابات براغماتية مفادها أن الإطاحة بالقذافي كان في مصلحة الإمبرياليين الغربيين».

العسكرة

بيد أنه جليٌّ وجوبُ إطاحة حكومة زيلينسكي، تمامًا مثل حكومة بوتين، أو حكومة جو بايدن، أو حكومة بوريس جونسون أو حكومة فيكتور أوربان، أو أي حكومة برجوازية أخرى. وتتيح الحرب في أوكرانيا فرصة انفجار ثوري ضد النظام القائم (3). غير أن الانتقال من "الروس غزاة، ويجب أن ندافع عن بيوتنا" إلى "كل السلطة للسوفييت الأوكراني" يتطلب عملَ جبهة موحدة جاداً إلى جانب الكتلة العظمى من الشعب الأوكراني المعبأة من قبل الحكومة في وحدات دفاع شعبي. وهذا يعني نكون أن قُدام الجماهير بخطوة واحدة، وليس بخمسة عشر كيلومترًا.

إن إنشاء وحدات دفاع شعبي يعني أن هناك الآن ميليشيا في أوكرانيا، ميليشيا مسلحة ذات تدريب عسكري بدائي جدا. والاشتراكيون الذين يدافعون عن فكرة مقاطعة هذه الوحدات هم عمليًا دعاة سلم، حتى لو استشهدوا بلينين لتبرير موقفهم. والواقع أن لينين يدافع عن كون "عسكرة المجتمع" أثناء الحرب أحدَ جوانبها (أي الحرب) الإيجابية النادرة:»اليوم تُعسكِرُ البرجوازية الإمبريالية الشبابَ كما الكبار، وغداً قد تبدأ بعسكرة النساء. يجب أن يكون موقفنا: هذا أمر جيد! أسرعوا! لأننا كلما أسرعنا، اقتربنا من انتفاضة مسلحة ضد الرأسمالية. كيف يمكن لاشتراكيين ديمقراطيين أن ينساقوا للخوف في مواجهة عسكرة الشباب، إلخ، إذا تذكروا مثال كومونة باريس» (4).

يتحدث لينين هنا عن تسليح أمة إمبريالية وليس شبه مستعمرة أو مستعمرة.

عن الأسلحة وأصلها

دافع بعض الاشتراكيين عن حق الأوكرانيين في مقاومة الاحتلال، لكنهم دافعوا أيضاً على أن الأمم الإمبريالية الغربية يجب ألا تكون مصدر المعدات والأسلحة للقتال. ويتمثل موقفهم في أن التزود بالأسلحة المضادة للدبابات من لندن يغير بشكل أساسي الطابع

في كان يوم 4 نوفمبر/تشرين الثاني 2011، الرئيسان باراك أوباما ونيكولا ساركوزي يستعرضان القوات العسكرية الفرنسية والأمريكية في حفل تذكاري أقيم في قاعة المدينة. © U.S. Navy Stephen Oleksiak

الطبقي للمقاومة الوطنية، وبالتالي يستحيل تزويد الأوكرانيين بالأسلحة. ويرى آخرون أنه يجب توريد الأسلحة إلى المنظمات العمالية الأوكرانية وحدها، ولكن ما لم يتم تحديد ماهية هذه المنظمات وتحويل هذه الفكرة إلى واقع ملموس، فإنها مجرد ذريعة لعدم تزويد البلد بقدر أكبر من الأسلحة. في مواجهة الجيش الروسي، تمثل الدعوة إلى نزع سلاح أوكرانيا، في الجوهر، دعوة لتسهيل انتصار روسيا.

يجب أن نكرر أن هوية من يزودون حركة تحرر وطني، أو بلدًا يقاوم غزوًا إمبرياليًا، بالسلاح أمر ثانوي بالنسبة لمشروعية النضال ذاته. فقد كان هناك ما يبرر حصول الكوسوفيين على السلاح من الغرب في التسعينيات. وكان ثمة ما يبرر حصول المقاومة السورية والأكراد على الأسلحة إبان الثورة السورية. هل مُنحت تلك الأسلحة بإكراهات؟ أحيانًا نعم، ولكن لا يمكن تجاهل استقلالية شعب يخوض نضالًا مشروعًا من أجل الحرية بسبب تلاعبات إمبريالية.

الإمبرياليات والبلدان المخضعة للسيطرة

يبدو أن البعض في اليسار يعتبر من المسلّمات في نظام العالم الحديث، الإمبريالية، أن كل شبه مستعمرة من بين أفقر البلدان تقع في فلك بلد إمبريالي آخر، وبالتالي فلا طائل من المسألة القومية. ليست هذه فكرة جديدة. فقد قالت روزا لوكسمبورغ،في كراسة يونيوس (5)، إن العالم قد بات مقسما بفعل الإمبريالية، وبالتالي فكل الصراعات هي، بدرجة أو بأخرى، صراعات بين امبرياليات. ومن ثمة أحيلت المسألة القومية إلى الماضي، ووحدها الاشتراكية مطروحة الآن على جدول الأعمال. وتكمن المشكلة في تجاهل هذه المقاربة التام لكل المسائل القومية الحقيقية الممكنة، على سبيل المثال عندما يتم غزو بلدك من قبل دولة أقوى بكثير على حدودك مباشرةً، وقد نشر قادتها مقالات تدعي أن بلدك خطأ و ينبغي ألا يكون موجودًا (6).

كتب لينين في العام 1916، ردًا جزئيًا على هكذا مواقف:

« إن كون النضال في سبيل الحرية القومية ضد دولة امبريالية يمكن أن تستغله في ظروف معينة، دولة «كبرى» أخرى لأغراضها الامبريالية أيضاً ، أمر لا يمكن أن يُجبر الاشتراكية الديمقراطية على التخلي عن حق الأمم في تقرير مصيرها، مثلما لا يمكن للأمثلة العديدة حول استغلال البرجوازية للشعارات الجمهورية من أجل الخداع السياسي والنهب المالي، في البلدان اللاتينية مثلاً، أن تجبر الاشتراكيين الديمقراطيين على التنكر لنزعتهم الجمهورية» (7).

هذه المسائل حاسمة، لأننا ندخل عالمًا متعدد الأقطاب لم يعد فيه التحليل القائم على الحرب الباردة صالحًا. فمع نشر روسيا والصين لقوتهما الإمبريالية، سيكون ثمة باطراد المزيد من الصراعات التي تسعى فيها دولة أو مجموعة عرقية فقيرة جدًا للحصول على العون من الغرب. إذا استعمل الاشتراكيون رؤية تبسيطية للعلاقات الدولية لتوجيه تفكيرهم، فسوف يؤخذون على حين غرة. لا يمكننا ببساطة وضع علامة ناقص حيث تضع البرجوازية الغربية علامة زائد. نحن بحاجة إلى استخدام النظرية للتوضيح والشرح، وليس نصب حواجز في وجه الواقع.

«إن أي عامل واعٍ طبقيًا سيحتقر دعوات الساسة المحرضين على الحرب وأرباب العمل إلى وحدة المجهود الحربي"، والمزيد من العمل، والمزيد من الإنتاج، والعمل المجاني في عطلة نهاية الأسبوع، وحظر الإضرابات والاجتماعات العامة، وما إلى ذلك».

شهد الصراع في أوكرانيا أيضًا دعوة بعض الاشتراكيين إلى هزيمة طرفيْ الصراع، داعمين موقفهم بموقف لينين بين العامين 1914 و1916. سوف نبحث فيما تبقى من هذا المقال ما تعنيه هذه السياسة-وما لا تعنيه-عمليا وفائدتها في تطوير سياسة اشتراكية متماسكة بشأن أوكرانيا اليوم.

ماذا تعني "الانهزامية الثورية"؟

تبدو وجهة نظر لينين إلى الحروب بين الإمبرياليات بسيطة:

« باتت برجوازية كل القوى الإمبريالية العظمى إنكلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وروسيا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة رجعية للغاية، إنها مدفوعة بالرغبة في السيطرة على العالم بحيث أن أي حرب من جانب برجوازية هذه البلدان لا يمكن أن تكون إلا رجعية. ليس على البروليتاريا أن تعارض أي حرب من هذا النوع فحسب، بل يجب أن تتمنى أيضاً هزيمة "حكومتها" في هذه الحروب وأن تستغلها لإطلاق انتفاضة ثورية إذا لم تنجح الانتفاضة لمنع الحرب". (8).

إن كل عامل/ة واعٍ/ة طبقي سيشك في تصرفات حكومته وطبقته الرأسمالية في أي حرب، سواء كانت تلك الأمة أمة إمبريالية أم لا. ففي حرب إمبريالية، سيحتقر كل عامل/ة واعٍ/ة طبقيًا السياسيين المحرضين على الحرب ودعوات أرباب العمل إلى "الوحدة في المجهود الحربي"، وإلى العمل أكثر، وزيادة الإنتاج، والتطوع في عطل نهاية الأسبوع، ومنع الإضرابات والاجتماعات العامة، إلخ. لا تتمنون انتصار حكومتكم لأنكم تعلمون أن ذلك سيؤدي إلى القومية الجامحة والوطنية والشوفينية التي هي أعداء الاشتراكية. وسيربط ذلك الجماهير بالبرجوازية عبر تمجيد نجاحات الأمة، وكلها أمور تقوض الوعي الطبقي وتضعفه.

تنطوي فكرة أن حربا إمبريالية فاشلة تساعد على تطوير الاحتجاج الراديكالي ضد الحكومة على شيء من الحقيقة. فالثورة الروسية في العام 1917 كانت إلى حد كبير ممكنة بسبب مسار الحرب الكارثي بالنسبة لروسيا، والتي أثارت بؤسًا لا يوصف في البلد، والفلاحون، الذي ضاقوا ذرعًا بعد أن أرسلوا للقتال والموت على الجبهة، يريدون السلام. ولو سارت الحرب على خير ما يرام، وتوغلت روسيا في بلدان أخرى، واستولت على أراضٍ جديدة، وكل ذلك تحت قيادة القيصر الفذة، لخلق شعوراً وطنيا أكبر لدى الشعب. و لمَا كان، بكل تأكيد، لثورتي فبراير وأكتوبر أن تحدثا.

وبالمثل، عندما سارت حرب فيتنام بشكل سيء، بالنسبة للولايات المتحدة، تفاقم الشعور بأزمة وطنية متزايدة، وتعمقت التناقضات الاجتماعية الأخرى، وارتبطت بموضوعات أخرى مُجَذِّرةً إياها، خاصة النضال ضد العنصرية. إن الشعور بأن الحكومة في أزمة، وأن قوتها الإمبريالية تضعف، يعطي إحساسًا بالقوة للطبقة العاملة والمضطهدين من أجل التنظيم والتصدي على جبهات أخرى-برغم أنه يجعل الطبقة الحاكمة أشد شراسة وعنفًا في الداخل من أجل الحفاظ على النظام.

إن المشكلة التي تنشأ، إذا ما اعتبرنا كل شعار من الشعارات التي صيغت في مختلف لحظات الحرب كدعوة عملية وفورية للعمل، هي أنها تُصادِم مستويات مختلفة من التحليل والفعل النضالي. كان موقف لينين من الانهزامية إلى حد كبير ردَّ فعل دعاويا على ما مثله الموقف الدفاعي من خيانة للاشتراكية، خاصة عندما بدأ الاشتراكيون -الديمقراطيون في جميع أنحاء أوروبا فجأة في دعم أهداف حكومتهم في الحرب بحجة أنها صراعات "دفاعية". كان لا بد من الاعتراض على شعار

حشود متآخية مع الجنود في شوارع بتروغراد، Paris Berlin A © 1917

"الدفاع عن الوطن الأم" إذ كان جليا أنه كذبة للدفع بحرب توسعية وعدوانية. كان قسم كبير من الدعاية الإمبريالية للحرب العالمية الأولى قائما على فكرة أن الحرب بدأها طرف آخر، وأن كل دولة من الدول المتحاربة تدافع عن نفسها ضد تصرفات جيرانها المتحاربين. كان استسلام الاشتراكيين لأهداف الطبقة الحاكمة من الحرب الإمبريالية هو ما يحاربه لينين بسياسته الانهزامية.

أشكال الشعار الملموسة

هناك تفسير مرن وآخر صارم للاستنتاجات العملية المستخلصة من الانهزامية الثورية. ففي الحرب الامبريالية، يتمثل التفسير المرن في عدم تشجيع أهداف الحرب الخاصة بالحكومة، والدفاع عن شعارات مبدئية مثل "لا قرش واحدا، ولا رجل واحدا لآلة الحرب". وفي التحريض، تُستعمل كل هزيمة عسكرية للتأكيد على أن الحرب غير مجدية، وأنها تتسبب إراقة دماء لا داعي لها، وأنه يجب إطاحة الحكومة لأنها أغرقتنا في هذه الفوضى لصالح كبار الصناعيين. ويُواصَل الصراع الطبقي-بل ويُؤجَج إذا أمكن-بغض النظر عن الدعوات إلى الوحدة الوطنية التي يطلقها القادة النقابيون والسياسيون البرجوازيون.

وثمة تفسير أشد صرامة، لجأ إليه لينين في بعض الأحيان، وأصبح لدى بعض الاشتراكيين نوعاً من الأرثوذكسية، ويرجع ذلك أساساً إلى ما شهد الحزب الشيوعي الروسي من صراع تكتلات في عشرينيات القرن الماضي. حسب هذا التصور، لا تكون هزيمة الحكومة أمنيةً فقط، بل يجري العمل بنشاط من أجل هزيمة المجهود الحربي عسكريًا بممارسة التخريب و "إعدام الضباط" الخ. وهكذا دافع لينين عن فكرة أن هزيمة روسيا على يد الجيش الألماني كانت "أهون شرًا" من انتصار القيصرية، التي اعتبرها لينين أكثر الحكومات همجية ورجعية في أوروبا.

المشكلة في هذا الرأي، كما أشار الاشتراكي هال درابر (9)، أنه لا يطابق حقاً مع ما كان البلاشفة يقولونه في روسيا، ولا النتائج العملية لشعار الانهزامية. أولاً، لم تكن هناك وحدة حقيقية بين البلاشفة حول مسألة الانهزامية التي اختلف معناها من فترة إلى أخرى في كتابات لينين. استخدم كثير منهم الصيغة المرنة التي لم يكن هناك خلاف كبير بينها وبين موقف الاشتراكيين الآخرين المعارضين للحرب. لكن الانهزامية في صيغتها الأكثر صرامة ليست سياسة إجرائية للعمل التحريضي بين جموع الجنود، بل هي رد فعل سجالي على إفلاس الكثير من الاشتراكيين المؤيدين سياسة "الدفاع عن الوطن". تخيل أن توزع منشورات على المجندين البالغين التاسعة عشر من العمر 19 لتشرح لهم أن سياستك، فيما يخصهم، هي أن يعودوا إلى المنزل في صناديق جثث...

لندرس بالأحرى المواقف العملية التي دافع عنها البلاشفة في المؤتمرات الدولية المناهضة للحرب، وأهمها مؤتمر زيمرفالد: لم يأت على ذكر "الانهزامية الثورية"، وكان التركيز على مواصلة الحرب الطبقية في البلد، وتسييس كل النضالات الصناعية نحو نضالات أكثر عمومية ضد الرأسمالية والإمبريالية.

«إن مقدمة هذه المعركة [من أجل الاشتراكية] هي المعركة ضد الحرب العالمية، ومن أجل إنهاء سريع لمجزرة الشعوب. وتتطلب هذه المعركة رفض اعتمادات الحرب، والانسحاب من الحكومات، والتنديد بطابع الحرب الرأسمالي والمعادي للاشتراكية، في الساحة البرلمانية، وفي أعمدة المنشورات الشرعية، و غير الشرعية عند اللزوم، بتواز مع نضال صريح ضد الاشتراكية-الوطنية. يجب أن نستخدم كل حركة شعبية تنشأ عن عواقب الحرب (الإفقار، الخسائر الفادحة، الخ) لتنظيم مظاهرات في الشوارع ضد الحكومات، وتطوير الدعاية لصالح التآخي في الخنادق، وطرح مطالب الإضرابات الاقتصادية، ومضاعفة الجهود لتحويل هذه الإضرابات، عند الإمكان، إلى نضالات سياسية. الشعار هو: الحرب الأهلية وليس السلم الأهلي!» (10)

نظرية وممارسة

إذا كان موقف لينين من الانهزامية الثورية يمد بقدر من الوضوح، فما دلالتها في الميدان؟ لقد حذر لينين قائلاً: "إنها لا تعني 'نسف الجسور'، وتنظيم الإضرابات الفاشلة في الصناعات الحربية ومساعدة الحكومة بشكل عام على هزيمة الثوريين»(11) . ماذا عن التحريض في الجيش؟ هذه وجهة نظر شائعة بين بعض الاشتراكيين: كان التحريض البلشفي في الجيش يركز على أعمال جذرية، بما في ذلك دعوات الجنود لإطلاق النار على ضباطهم أو أن تثور أفواج كاملة وتحارب القوات الموالية للحكومة وليس القوى الأجنبية.

ويُفهم شعار "تحويل الحرب الإمبريالية إلى حرب أهلية" على أنه مطلب فوري صوب الجنود والعمال كي يفتحوا جبهة ثانية في بلدهم، ويناضلوا لإطاحة الحكومة بينما

بلدهم عرضة للغزو. ومع ذلك، نادرًا ما ينظر الاشتراكيون اليوم إلى هذه المقاربة بنحو ملموس وتكتيكي. فهم يعلنون هذا الشعار كمبدأ، كما لو كان المطلب المباشر للجنود منذ اليوم الأول هو توجيه سلاحهم ضد حكومتهم. لكن تحويل هذا الشعار الثوري العام إلى مطلب تكتيكي عند اندلاع الحرب هو موقف يساري متطرف. إن محاولة إطلاق حرب أهلية، بينما يتركز وعي الطبقة العاملة بشكل كبير على الرغبة في الدفاع عن حقوقها الوطنية، يؤدي إلى عزل اليسار وموته.

بالعكس، تركزت سياسة البلاشفة العملية في الجيش على التحريض العام ضد طابع الحرب الطبقي، وتوعية العمال والجنود بمعنى الإمبريالية والتنديد بأهداف الحكومة الحربية. ومنذ متم العام 1916 وحتى صيف العام 1917، ركز البلاشفة مطالبهم بشكل متزايد على حقوق الجنود.

من مناهضة النزعة العسكرية إلى الثورة

كانت نقطة الترجح الرئيسية بالنسبة للبلاشفة في روسيا بعد فبراير 1917 ، عندما أطاحت ثورة شعبية القيصر وأُستُعيض عنه بنظام ديمقراطي بقيادة ألكسندر كيرينسكي، الذي أعلن نية مواصلة الحرب. عاد البعض في اليسار إلى الصف بعد فبراير، بحجة أن المهمة باتت هي الدفاع عن روسيا أكثر ديمقراطية ضد القيصر الألماني، بعد أن تغيرت طبيعة الحكومة. بيد أن لينين ورفاقه شددوا معارضتهم، وعندما استمر فشل الحرب تحت قيادة كيرينسكي، كان هذا التوجه المبدئي هو الذي أتاح في النهاية انتزاع السلطة من الرأسماليين في أكتوبر 1917.

ماذا كانت المادة التي يوزعها البلاشفة عشية انعقاد مؤتمر السوفييت لعموم روسيا في أبريل 1917؟

«كل السلطة لسوفييتات مندوبي العمال والجنود! هذا لا يعني أنه يجب علينا إسقاط الحكومة فورا أو عصيانها. طالما بقيت أغلبية الشعب تؤيدها... لا يمكننا أن نسمح لأنفسنا بهدر قوانا في انتفاضات مفككة. أبدًا! فلنحافظ على قوانا! ولنشارك في الاجتماعات! ولنعرض ملتمسات على التصويت»(12).

جلي أن الإستراتيجية الثورية لم تكن تتمثل في تمرد فوري، ولا في رفض للقتال مفضٍ إلى نضال ثوري ضد الحكومة البرجوازية، بل في عمل صبور لكسب المساندة للأفكار الثورية والمناهضة للحرب.

«بحلول سبتمبر 1917، حتى لينين كان يدلي بتصريحات لم تعد تستند إلى الانهزامية الثورية، بل كانت تدعو في الأساس إلى حرب ثورية دفاعية».

في النهاية، وصلت الطبقة العاملة بقيادة القوى الثورية إلى السلطة في أكتوبر، بفضل سياسة لم تكن "أطلقوا النار على ضباطكم! " أو التحريض النشط من أجل هزيمة الجيش، بل سياسة تطالب بـ "الخبز والسلام والأرض". لم يكن ممكنا تلبية هكذا مطالب إلا بانتزاع السلطة من الرأسماليين والسياسيين الليبراليين الروس من أجل تأمين السلم لبلد أنهكته الحرب ودمرته. وبقصد إخراج روسيا من الحرب، أبرم البلاشفة فورا السلم مع ألمانيا، موقعين معاهدة بريست-ليتوفسك، وهي غير مواتية إلى حد كبير، حيث تم التنازل عن أراضٍ شاسعة ثمنا للسلم. وفي أثناء المناقشات التي دارت حول التصديق على معاهدة بريست-ليتوفسك، أدلى لينين بالملاحظة التالية:

" بلغ إلى علم بوريس [كامكوف، من الاشتراكيين الثوريين اليساريين] أننا كنا انهزاميين، وتذكر ذلك عندما توقفنا عن كوننا انهزاميين... لقد كنا انهزاميين في عهد القيصر، ولكن في عهد تسريتيللي وتشرنوف [الوزراء في حكومة كيرينسكي]، لم نكن انهزاميين" (13).

دافع لينين، بعد ثورة فبراير، عن فكرة وجوب تخلي البلاشفة عن شعارات الانهزامية، برغم أن هذه الشعارات لم تكن موجودة عملياً إلا على المستوى الدعاوي بين العامين 1914 و1916، وتم تنحيتها جانباً بحلول 1917. وقد حلت محلها دعوات أكثر واقعية وعملية من أجل حقوق الجنود الديمقراطية، والتوجه نحو ازدواجية السلطة في المؤسسة العسكرية بقدر تجذير الانتفاضة الثورية لكتائب متزايدة من الجيش.

حرب الدفاع الثورية

كان لينين ذاته، في سبتمبر 1917، يدلي بتصريحات غير مستندة إلى الانهزامية الثورية، بل تدعو بشكل أساسي إلى حرب دفاع ثورية، ويتناول هذه الأخيرة بالتطرق لكيفية الدفاع عن البلد بنجاح ضد الغزو:

«يستحيل أن نجعل البلد قادرا على الدفاع عن نفسه دون بطولة سامية من الشعب الذي ينجز بجرأة وحزم إصلاحات اقتصادية كبيرة. ومن المستحيل استثارة البطولة في الجماهير دون إحداث قطيعة مع الإمبريالية، ودون اقتراح سلم ديمقراطي على جميع الشعوب، ودون تحويل حرب الغزو والنهب الإجرامية إلى حرب عادلة ودفاعية وثورية»(14).

أظهر ما تلا أن لينين كان يستعمل شعار الانهزامية الثورية بشكل أساسي فيما يتعلق بالقيصرية، وفكرة أن هزيمة جيش القيصر من شأنها أن تخلق ظروف إبداله بنظام أكثر راديكالية وديمقراطية. وقد كان محقًا في هذه النقطة.

في زمن الحرب، تتحرك الأمور بسرعة. عندما عاد لينين من المنفى، وبدأ بالفعل التحدث إلى العمال والجنود الروس، اكتشف حالة ذهنية مغايرة. حالة ترى من المعقول تماماً ألا يرغب المرء في غزو بلده واحتلالها، وكان هذا الشعور هو الذي عبر عنه لينين، حتى باستخدام مفردات الحرب الثورية الدفاعية التي كان رفضها في أبريل 1917. كانت النقطة الحاسمة هي معارضة أهداف الحرب التوسعية والإمبريالية للطبقة البرجوازية.

خلاصات عملية

عندما يجتاح بلد إمبريالي بلدا فقيرا بقصد إعادة تقطيع العالم، يمثل الدفاع عن حق هذا الأخير في المقاومة، وحقه في تقرير مصيره، مطلبا ديمقراطيا أساسيا. حتى القول بتأييد انتصار الأمة الأصغر موقف صحيح ومبدئي.

وحتى عندما يتعلق الأمر بأمة إمبريالية تتعرض للغزو من قبل أمة إمبريالية أخرى، فمن المحتم ألاً يرغب الشعب في أن تغزوه أو تحتله قوة أجنبية.

يجب على الاشتراكيين، في كل وضع، التقدم بتحريض ودعاوة ضد الحرب، مع إبراز التناقضات الطبقية بين ما يسعى إليه الإمبرياليون من جهة، والعمال الذين يُرسلون للتقاتل من جهة أخرى. يجب نسج روابط مع اشتراكيي البلد الغازي، وتنظيم متحدات قاعدية في الجيش وفي النقابات، وإرساء روابط بين العمال والجنود، مع توضيح أن الحكومة لا تتحدث باسم الشعب، وأنه يجب إنهاء هذه الحرب الهمجية ، وأن حكومة اشتراكية وحدها قادرها على وقفها.

19 مايو -2022

(*) سيمون حنة كاتب ومناضل ونقابي، وعضو في حركة المقاومة المناهضة للرأسمالية Anticapitalist Resistance، فرع الأممية الرابعة البريطاني. يعيش في جنوب لندن. يشغل منصب مساعد أمين فرع نقابة الوظيفة العمومية Unison. ألف كتبا عديدة، منها «حزب بداخله اشتراكيون: تاريخ يسار حزب العمال. A Party With Socialists In It : A History of the Parti travailliste Left.

ظهر هذا المقال في مجلة تيمبست Tempest الإلكترونية. https://tempestmag.org/2022/05/-revolutionary-defeatism-yesterday-and-today/

إحالات:

1 - Report at a meeting of bolshevik » delegates to the all-russia conference of soviets of workers' and soldiers' deputies april 4 (17), 1917 », Lénine, publié dans la Pravda le 7 novembre 1924.

2 - المرجع نفسه.

3 - - « A strategy for the working class in ukraine », Simon Hannah, Anticapitalist Resistance, 10 mars 2022. https://anticapitalistresistance.org/a-strategy-for-the-working-class-in-ukraine/

4 - « Le programme militaire de la révolution prolétarienne », Lénine, septembre 1916.https://www.marxists.org/francais/lenin/works/1916/09/pmrp.htm

5 - كراسة يونيوس: الأزمة في الاشتراكية الديمقراطية الألمانية"، روزا لوكسمبورغ، 1915. ضمن كتاب مختارات سياسية . دار الطليعة مايو 1971 . صفحة 169

6 - مقال بقلم فلاديمير بوتين "حول الوحدة التاريخية للروس والأوكرانيين"، 12 يوليو 2021. http://en.kremlin.ru/events/president/news/66181

7 - لينين، المختارات (10 أجزاء) جزء 6، دار التقدم، موسكو، 1976، ص 153.

8 - البرنامج العسكري للثورة البروليتارية"، نفس المرجع.

9 - « Le mythe du "défaitisme révolutionnaire" de Lénine », Hal Draper, New International, 1953-195

10 - - https://socialistworker.org/2015/09/09/resolution-of-the-zimmerwald-left

11 - البحث في الأعمال الكاملة https:// www.marxists.org/archive/lenin/works/1915/jul/26.htm

12 - https://www.marxists.org/archive/lenin/works/1917/jun/03.htmالمجلد 25

https://www.marxists.org/

13 - archive/lenin/works/1918/mar/13. htm المجلد 27

14 - لينين، المختارات (10 أجزاء) جزء 7، دار التقدم، موسكو، 1976، ص 172.

ندوة دراسية: التنقلات الدولية للآمال الثورية في سنوات الخمسينيات حتى متم التسعينيات

جرى عرض تجارب بيار روسيهPierre Rousset وكاثرين ساماريCatherine Samary الأممية في أثناء المائدة المستديرة للدورة الثانية من الندوة الدراسية المنظمة يوم 5 أكتوبر/تشرين الأول 2024، والتي أدارها فانسان غيVincent Gay. . وقد أتاح سرد مسارهما الفردي تسليط الضوء على الرهانات الإستراتيجية التي لا تزال مطروحة اليوم أمام مناضلي/ت الأممية الرابعة في ممارستهم للمبدأ الأممي.

بقلم: فلافيا فيري Flavia Verri

خُصص القسم الأول من المائدة المستديرة لانخراطهما في العمل النضالي وفي الأممية الرابعة، بقصد إدراك لماذا كانت القضايا الأممية جوهرية في التزامهم. وضع بيار روسيه الأمر في السياق، مذكرا بأن صيرورة المرء/ة مناضلا/ة ثوريا/ة في ستينيات القرن الماضي تعادل كونه أمميا – كان ذلك من نافل القول. فقد كانت خلفية الالتزام مطبوعة بحرب الجزائر، وبالتصعيد الأمريكي في فيتنام، وبالاضطرابات في أمريكا اللاتينية. وبرغم من تحدره من عائلة ناشطة سياسيًا، لم ينغمس في وسط نضالي، حتى ولو أنه تعلم داخل المحيط العائلي «عدم السكوت» (كان والده، المنفي سابقًا إلى معسكرات الاعتقال النازية، قد ندد بمفرده تقريبا في اليسار بالمعسكرات الستالينية في الاتحاد السوفييتي عندما علم بوجودها).وسيراً على خطى أخيه الأكبر، انضم، وهو طالب، إلى اتحاد الطلاب الشيوعيين.(UEC)، وبوجه الدقة إلى جناحه اليساري بقيادة آلان كريفين Alain Krivine - وهي مبادرة فردية إلى حد كبير، على عكس الكثيرين الذين انخرطوا ضمن " مجموعة"، مع أصدقاء/ت لهم تاريخ مشترك.

شكلت الجامعة آنذاك بوتقة ثقافية، وفقد الحزب الشيوعي الفرنسي السيطرة على تنظيمه الطلابي. وكان اتحاد الطلبة الشيوعيين بوتقة حيث تتشكل أو تتدخل تيارات أقصى اليسار عديدة. من ثم، شارك بيار روسيه في تأسيس" الشبيبة الشيوعية الثورية"(JCR) .وانضم إلى الحزب الشيوعي الأممي(PCI)، فرع الأممية الرابعة الفرنسي(SFQI) الصغير. وبتأثير أصله البريطاني جهة والدته، واطلاعه على مؤلفات الكتاب الإنجليز المترجمة (حيث قد يكون بطل سلسلة منها مواجها للفرنسيين في حروب بحرية...)، تلقى ترياقا ضد النزعة الوطنية الفرنسية. و ورث أيضاً حساسية إزاء احترام الطبيعة لم تفارقه أبداً (تختلف الثقافة البريطانية الموروثة عن والدته تماماً عن العلاقة " الآلية" مع الطبيعة السائدة في فرنسا). وسوف ينخرط فيما بعد في شبكات وجمعيات بيئية لحماية الطيور والتنوع البيولوجي.

الانعطاف/ ت نحو الشرق

شكلت كاثرين ساماري مع شقيقها جان جاك ثنائيا لا تنفصم عراه. انضما معًا إلى الشبيبة الشيوعي، وإلى الحزب الشيوعي الفرنسي في مدينة كان Cannes ، حيث استقر والداهما هربًا من باريس المحتلة مسقط رأسيهما. نظّما معًا جملة واسعة من الأنشطة (شبابية موسيقية وأدبية وقراءات ماركسية). وشاركت كاثرين بمعية حركة الشبيبة الشيوعية في رحلة منظمة إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية. ولكن سرعان ما تحولت حماستها إلى تمرد في وجه ما عاينت من جمود عقائدي وعبادة الشخصية. استهلّت عودتها بالتزامات جديدة ضد انحرافات عمدة الحزب الشيوعي البيروقراطي، وضد فصل الفتيات عن الفتيان في المدرسة. بعد اتصالها بمجموعة « unir-débat » واستقرارها بباريس بمعية شقيقها، ضمهما آلان كريفين إلى الحزب

فلافيا فيري

فلافيا فيري عضو في اليسار الاشتراكي البيئي والأممية الرابعة.

الشيوعي الأممي، فرع الأممية الرابعة الفرنسي، الذي كان يمارس دخولية في الحزب الشيوعي الفرنسي.

كانت حرب فيتنام، في متم الستينات، في عزها. ولاكانت الثورة الجزائرية حديثة العهد بعدُ، وانصب اهتمام الثوريين بقوة على أمريكا اللاتينية، بعد عشر سنوات من الثورة الكوبية وبعد وفاة تشي بفترة وجيزة. ومع ذلك، وقع اختيار كل من بيار روسيه وكاثرين ساماري على الاهتمام ببلدان أخرى وقارات أخرى، كما أوضح القسم الثاني من المائدة المستديرة.

مر التزام بيار روسيه الأسيوي بثلاث مراحل. كانت ستينيات القرن الماضي سنوات أممية. ولكن، بعد إضراب مايو العام -1968 تلك التجربة الجماعية المؤسِّسة لجيل كامل - توقف التضامن مع الهند الصينية بنحو مفاجئ. اختفت اللجنة الوطنية الفيتنامية (CVN). أرادت منظمات أقصى اليسار الشروع في الانغراس في الطبقة العاملة أو تعزيزه. فأفضت مستجدات الأزمة السياسية الوطنية بشكل غير مباشر إلى انقطاع استمرارية النضال الأممي والمناهض للإمبريالية. وكان اكتشاف هشاشة النزعة الأممية على هذا النحو صادما.

كاثرين ساماري

فوتوثيك روج / **مارتن** نودا / هانز لوكاس

تحركت مُمثِّلية فيتنام الشمالية في فرنسا لإعادة إطلاق حملة التضامن. اتصلت خصوصا بالرابطة الشيوعية التي تحدوها نفس الرغبة (تأسست الرابطة الشيوعية عام 1969 بعد حلّ الشبيبة الشيوعية الثورية والحزب الشيوعي الأممي في حزيران/يونيو 1968؛ وأفضى اختيار الانضمام إلى الأممية الرابعة إلى انسحاب أقلية). على هذا النحو، أسهمت الرابطة عام 1970 في تأسيس جبهة التضامن الهند الصينية (FSI)، موحدةً جملةَ حركات تضامن وجامعيين وأعضاء"مستقلين" بالحزب الشيوعي الفرنسي. شارك بيار روسيه، نيابة عن الرابطة، في تأسيس تلك الجبهة وقيادتها. وحوكم عام 1973، بعد سجنه للمرة الثالثة، بسبب التزاماته النضالية، بعقوبة شهرين نافذة، مثقلة بسنة مع وقف التنفيذ. في ظل هذه الظروف، تم إرساله إلى بلجيكا للالتحاق بمكتب الأممية الرابعة. ثم فكر بعد ذلك في العودة إلى فرنسا على وجه السرعة ليتحول عاملاً (ضمن عملية الإنغراس في الطبقة العاملة). و في النهاية، اتجه، عوضَ" الانعطاف العمالي"، إلى الشرق. أطيحت دكتاتورية تايلاند في العام 1973. ونظرًا لعدته النضالية والفكرية" الفيتنامية"، بدأ مهامه الآسيوية المتمثلة في إقامة روابط التضامن ودعم الحركات الشعبية المناضلة. شارك أيضا، بين عامي 1981 و1993، في إدارة المعهد الدولي للبحث والتكوين(IIRF) بأمستردام الذي كان مكانا لنقاشات غنية بين أطر قادمين من قارات عديدة.

الغليان في أوروبا الشرقية

انضمت كاثرين ساماري إلى برنامج الأممية الرابعة في مستهل سنوات الستينيات، مقتنعةً بمناهضة الرأسمالية، وبالحاجة إلى قطيعة ثورية مع الماضي، وبتحليل نقدي للستالينية وما يخترقها من أزمات. انصب اهتمامها على السمات المميزة للنماذج الثورية، سيما نموذج الثورة اليوغوسلافية، الذي سوف يغدو موضوع أبحاثها الجامعية وأطروحتها للدكتوراه المنشورة عام 1988 بعنوان Le marché contre l'autogestion, l'expérience Yougoslave (السوق مقابل التسيير الذاتي، التجربة اليوغوسلافية.

كانت تجربة مقاومة الستالينية هذه، مع مواقف تيتو بوجه ستالين منذ العام 1948، موضوع اهتمام الأممية الرابعة، التي اتصلت بتيتو. ففي العام 1950 ثم في 1956، نُظمت بها مؤتمرات التسيير الذاتي الأولى. وبرزت موازاة لذلك، حركة عدم الانحياز. والشبيبة العالمية ما زالت مطبوعة بتأثير الاتحاد السوفييتي والثورة الصينية ثم الثورة الكوبية. لكن ربيع براغ كان نقطة تحول. أدان تيتو القمع الذي كان عرضة له. بدا والحال كذلك أن طريقا آخر للاشتراكية بات ممكنًا. فأوروبا الشرقية غير متجانسة وتستحق الدراسة، مع وجوب إقامة اتصالات. دأبت كاثرين ساماري على زيارة المنطقة لمرات عديدة. فإلى جانب تواجدها في مختلف التحركات الموجهة ضد التدخل السوفيتي في تشيكوسلوفاكيا عام 1968، رافقت وفدًا إلى براغ مطالبة بحضور محاكمة بيتر أولPetr Ulh وفاكلاف هافيل Vaclav Havel و "منشقي ميثاق 77 ".الآخرين.

المقاومات المسلحة في آسيا

وهكذا امتد اهتمام الأممية الرابعة ليشمل آسيا وبلدان أوروبا الشرقية. وتطور النشاط السياسي هناك وتعمقت المبادلات مع الأممية كما دل القسم الثالث من المائدة المستديرة. وحسب بيار روسيه، كانت رحلاته السنوية تروم فهم أوضاع البلدان، ونسج روابط مع قوى الحركة الشبيبية والعمالية والشعبية الحية دون مسبقات، وتبادل وجهات النظر مع المنظمات الشقيقة. كانت للأممية في شرق آسيا منظمات صغيرة في هونغ كونغ واليابان. لا مجال للتعامل كـ"مُصدِر أوامر "من المركز إلى الأطراف، أو العمل كفصيل سري. كان لجزء من المبادلات بُعد جيلي. كانت اتصالات بيير روسيه" طبيعية" أكثر مع الشباب، وقد تكون ممتازة مع" القدامى"، ولكنها قد تكون أحيانا صعبة. وفي هذه الحالات، يعتمد على إرنست ماندل أو ليفيو ميتان، "قدماؤه"، لتأمين الصلة.

امتدت أسفار بيار روسيه إلى الفلبين، استجابةً لدعوة من راهبة تقدمية (ذات ذكاء نادر) في زيارة لباريس. كان البلد حينذاك في ظل نظام الأحكام العرفية، ومسرحاً لمقاومتين مسلحتين تقودهما إما حركات إسلامية في الجنوب أو الجبهة الوطنية الديمقراطية بإشراف الحزب الشيوعي الفلبيني متحالفا مع منظمة المسيحيين من أجل التحرير الوطني. نسج بيار روسيه روابط مع مجموعة عريضة من التيارات اليسارية، وانخرط في التضامن مع المقاومة المسلحة التي تؤطرها الجبهة الديمقراطية الوطنية التي مثلت هويةً للقسم الأكبر من جيل المناضلين. جلي أن لا خبرة لروسيه في الكفاح المسلح، لكن دراسته للثورتين الصينية والفيتنامية ساعدته على الاستماع إلى ما يمكن أن يشرحه المناضلون/ت الفلبينيون ذوو التكوين" السياسي-العسكري"المنخرطون

بيير روسيه

فوتوثيك روج / مارتن نودا / هانز لوكاس

في كفاح طويل الأمد. وساعده أيضا التكوين الذي تلقاه في فرنسا حول مسائل الأمن، عندما تم حل منظمته، على استيعاب أفضل لما يلزمه من تعليمات.

الحلول ببلد تحت حكم ديكتاتوري (بمقاومة مسلحة أو بدونها) يعني الأخذ في الحسبان وتحمل المخاطر المحدقة بالمناضلين الذين يتم اللقاء بهم، والاستعداد لحمايتهم في حالة اعتقالهم. ليس ذلك طبعا من السهولة بمكان. لحسن الحظ، لم يتعرض بيار روسيه أبدًا للاعتقال (كان رفاقه المحليون يضمنون سلامته جيدًا). ومع ذلك، فقد كان عليه أن يدرس حالة رفيق (وصديق) من هونغ كونغ اعتقل أثناء رحلة إلى الصين القارية للالتقاء بأعضاء الحركة الديمقراطية الصينية، أطلق سراحه فيما بعد في ظروف مشبوهة. لقد كان يخاطر كثيرا، وتبين أنه أعطى الشرطة السياسية كل ما هي في حاجة إليه، بشأن اتصالاته في الصين وكذا بشأن المنظمات الأممية بهونغ كونغ - واضطرت إلى قطع الصلات معه.

ساعدت الأممية ولجان التضامن مناضلين/ت فارين من القمع. انطبق ذلك بالخصوص على التايلانديين/ت، بعد انقلاب العام 1996 الدموي، الذين قدموا إلى باريس (سيما أن فضل ذلك يعود إلى الاتصالات التي أقامها بيار روسيه، ثم عادوا إلى لاوس للانضمام إلى معسكرات الحزب الشيوعي التايلاندي الحدودية).

دخلت الحركة الوطنية الديمقراطية في الفلبين أزمة بعد انهيار ديكتاتورية ماركوس في العام 1986 (رفضت أغلبية ضئيلة في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفلبيني النظر في هذه الإمكانية) والصدمة الناجمة عن التطهيرات الجنونية التي أودت بحياة العديد من الضحايا داخل الحزب. هل كان يجب الحديث عنها؟ كان والدن بيلو Walden Bello أول من بادر إلى القيام بذلك في الفلبين، ويبدو أن بيار روسيه هو الأول في شبكات التضامن الأممية. سواء كان هذا مصادفة أو لم يكن، يندرج "عدم التزام الصمت" في إرث الوالد (التنديد بالمعسكرات الستالينية). لقد غذت كل هذه التجارب مادة لتفكير الأممية الرابعة في القضايا السياسية- العسكرية، وفي تأثير الثورتين الصينية والفيتنامية، وفي دور تضامن أممي ملموس وممارسته.

تجارب جديدة

إن للأنشطة التضامنية مع أوروبا الشرقية، بحسب كاثرين ساماري، فوائد عديدة: من أجل النضال ضد القمع الممنهج والدفاع عن حرية التعبير. أتاحت التجربة التشيكوسلوفاكية" الحرة والاشتراكية" فرصة لبلورة نظرية حول بناء معارضة للستالينية في بلدان أوروبا الشرقية. كان ذلك رهان مؤتمر الأممية الرابعة في العام 1979 في الوثيقة المعنونة" ديكتاتورية البروليتاريا والديمقراطية الاشتراكية"التي تصر على وجوب ربط الفكر النظري بالممارسة النضالية، وعلى الحاجة إلى التصدي لرؤية مراحلية للثورة ورؤية اصطفافية للتضامن.

شهد سقوط جدار برلين في العام 1989 عودة الرأسمالية بشكل كارثي إلى أوروبا الشرقية وتدهورها الأيديولوجي. و اغتنت تجارب بيار روسيه وكاثرين ساماري، ما عرضاه في القسم الأخير من المائدة المستديرة. يعتقد بيار روسيه أن من الأهمية بمكان، بل من الجوهري، "إضفاء لامركزية" على النظرة إلى الأمور. ما يعني تسليط الضوء على حدث أسيوي وليس أوروبي. أو على حدث في أوروبا الشرقية وليس في الغربية. يساعد ذلك على تجنب السقوط في» النزعات المركزية الأوروبية الغربية». الأسفار تساعد على ذلك! مثلت"المهمات الآسيوية" لروسيه نوعًا من تجربة تأسيس ثانية، كسيرورة"متواصلة". وأكد مقدار ما تعلمه من أصدقائه/ته الآسيويين/آت. شارك بضعة عقود فيما بعد، في الحقبة العظيمة لحركة العولمة البديلة، وكان عضوًا مؤسسًا لجمعية أتاك والمنتدى الاجتماعي العالمي، بصفته آنذاك عضو مجلسه الدولي. ودعم المنتدى الاجتماعي الأوروبي والمنتدى الشعبي آسيا -أوروبا.

شارك في البرلمان الأوروبي إبان الدورة التشريعية 1999-2004، بصفته ملحقا بوفد الرابطة الشيوعية الثورية (LCR) المكون من روزلين فاشيتا Roseline Vachetta وآلان كريفين، العضوين في البرلمان، وتعاون مع مجموعة اليسار الأوروبي الموحد/ يسار الخضر الإسكندنافي (GUE/NGL) بمعية رئيسها فرانسيس وورتز Francis Wurtz،من قادة الحزب الشيوعي الفرنسي. وكانت مسؤولياته تشمل إلى حد كبير المشاركة في عملية المنتديات الاجتماعية والروابط مع آسيا. أتاحت تلك التجربة التي خاضها برلمانيو/ت الرابطة الشيوعية الثورية في البرلمان الأوروبي مضاعفة إمكانات الأممية بنحو عظيم.

شاركت كاثرين ساماري في تنظيم حملة «قوافل نقابية من أجل توزلا" في البوسنة والهرسك، وفي حملات ضد التطهيرات العرقية إبان تفكك يوغوسلافيا، وفي جبهات دعم حق تقرير مصير الألبان في كوسوفو ضد سياسة سلوبودان ميلوسيفيتش S. Milosevic ، ومعارضة قصف حلف شمال الأطلسي. وانخرطت، موازاة مع ذلك، في الاتحاد اليهودي الفرنسي من أجل السلام) l'UJFP) وشاركت في أنشطة في مصر في اتجاه غزة. واسهمت في تأسيس تجمع مدرسة للجميع وتجمع نسوانيات من أجل المساواة(CFPE)يشمل الملحدات والمؤمنات، مسلمات محجبات و غير محجبات.

في الآن ذاته، يحاول مناضلو/ت أوروبا الشرقية الشباب/ت إعادة وصل الماضي بالحاضر، لا تزال الاتصالات قائمة على سبيل المثال في المجر وجمهورية التشيك وبولندا وسلوفينيا وكرواتيا ورومانيا وبلغاريا. في العام 2013-2014، توجهت كاثرين إلى كييف لحضور لقاءات اليسار الأوكراني الشاب، الذي سيتمخض عنه إنشاء "حركة اجتماعية" - سوتسيالني روخ (Sotsialny Rukh (SR))، معارضة منذ فبراير 2022الغزو الروسي لأوكرانيا، وفي الآن ذاته الهجمات الاجتماعية النيوليبرالية. وشاركت في آذار/مارس 2022، بتنسيق مع ذلك اليسار الأوكراني، في تأسيسشبكة التضامن الأوروبية مع أوكرانيا ENSU ، ونظيرها الفرنسي RESU دفاعًا عن المقاومة الأوكرانية ضد الغزو الروسي وكل أشكال الاستعمار الجديد. وهي عضو في الجمعية الفرنسية للدراسات حول البلقان (AfeBalk) ومجلتها علم البلقانيات Balkanologie.

22 شباط/فبراير 2025

استسلام النقابات العمالية بوجه النظام الفاشي

كان من شأن الإضراب السياسي الشامل، وفي الختام الإضراب العام ضد انتهاكات «الجنرال الحديدي» هيندنبورغ Hindenburg للدستور، أن يكون سلاحاً هاماً–وربما الأكثر حسماً–في النضال ضد الفاشية. لكن، من ناحية، ساعد زعماء النقابات العمالية، السائرين على خطى جناح الاشتراكية الديمقراطية اليميني، على تتويج هذا الرئيس، ومن ناحية أخرى، كان أملهم في أن ألمانيا لا يمكن أن تُحكم بدونهم، وبالأحرى ضدهم.

بقلم جورج يونجكلاس Georg Jungclas

كان لهذا الافتراض الأخير أن يصح لو استخدمت النقابات قوة العمال/ات المنظمين/ات للدفاع عن الحقوق الديمقراطية. لكن القيادة لم تكن تعلق آمالها على قوة العمل النقابي، بل على «بصيرة» أكبر من جانب القوى السياسية الممثلة بـ«الجنرال الاجتماعي» شلايشر Schleicher. كان الهدف من هذا «المخرج» هو منع أخطر مظاهر الفاشية وإعادة الهدوء إلى البلد وسد طريق هتلر Hitler إلى منصب مستشارية الرايخ.

على غرار مجلس إدارة الحزب الاشتراكي الديمقراطي، انخدع قادة النقابات العمالية–بمختلف اتجاهاتهم–بإمكان إنقاذ المنظمات بالحفاظ على مسار الشرعية المطلقة والحياد السياسي. لم يتمكنوا من استخلاص الدرس الذي لقنه النظام الفاشي الإيطالي في الفترة 1925-1927 فيما يتعلق بالقضاء على النقابات. وبانتحارهم السياسي، حاولوا يائسين الهروب من إماتة منظماتهم.

لم تهدر النقابات الحرة، أقوى أعمدة الاتحاد النقابي الدولي، بفعل ترددها منذ 30 يناير، مؤهلاتها الخاصة وحسب، بل أيضًا العديد من الإمكانات الأخرى على المستوى الدولي. في 19 أبريل، بعد أن أعلن الاتحاد العام النقابي الألماني ADGB (سلف الاتحاد الألماني للنقابات DGB) على الملأ دعوته إلى التظاهر يوم فاتح مايو، أصبحت القطيعة بين الاتحاد العام النقابي الألماني والاتحاد النقابي الدولي نهائيًا.

جورج يونجكلاس

انضمّ جيورج "شورش" يونغكلاس (22 فبراير 1902 - 11 سبتمبر 1975) إلى حزب المفكرين الأحرار في عام 1915، وإلى الحزب الاشتراكيّ الحرّ في عام 1916، وإلى الحزب الديمقراطيّ الألمانيّ في عام 1919.

بعد تدريبه المهني كبائع كتب، عمل في حوض بلوموند فوس لبناء السفن في هامبورغ. وفي عام 1921، شارك في "مسيرة العمل" التي نظمها الحزب الديمقراطي الألماني هناك. ثم قام بعد ذلك بتدريس دورات في تاريخ الحركة العمالية كمدرب متنقل للحزب الديمقراطي الألماني في تورينجن حتى عام 1922. وفي وقت لاحق، في ووربسفيد، ساعد في توسيع دار باركنهوف للأطفال التي أنشأها الرسام هاينريش فوجلر للإغاثة الحمراء. في عام 1923، أصبح جورج عضوًا في الجهاز العسكري للحزب الشيوعي الألماني وشارك في انتفاضة هامبورغ.

حتى عام 1926، عمل في مكتبة كارل هويم الشيوعية. ومنذ عام 1926 كان يدعم المعارضة اليسارية للحزب الشيوعي الألماني. وفي عام 1928 انضم إلى لينين بوند الذي تأسس حديثاً.

وفي عام 1930، ساعد مع الأقلية اللينينبندية في تأسيس المعارضة اليسارية للحزب الشيوعي الألماني. وبصفته قائدًا للمجموعة المحلية في هامبورغ، ساعد في تنظيم الشحن السري لنشرة المعارضة إلى الاتحاد السوفيتي الستاليني. لهذا السبب، كان على اتصال مع ابن تروتسكي، ليون سيدوف، وتواصل مع تروتسكي.

في عام 1933، اضطر جورج إلى الفرار من ألمانيا النازية واللجوء إلى الدنمارك. وهناك، لم يعمل فقط مع الأعضاء الدنماركيين في المعارضة اليسارية الدولية فحسب، بل شكّل أيضًا مجموعة ألمانية في المنفى وحافظ على اتصاله بمجموعة هامبورغ. ومنذ أبريل 1940، بعد احتلال الدنمارك من قِبل الجيش الألماني (الفيرماخت)، شارك جورج بنشاط في المقاومة السرية المناهضة للفاشية وانخرط في شبكة لمساعدة اليهود الهاربين.

قمع موجه بخطة

في نهاية العام 1932، اتفق الجميع في الحزب النازي (NSDAP) على ضرورة زوال النقابات العمالية القائمة باعتبارها «منظمات صراع طبقي»، والاستعاضة عنها بأجهزة دولة تعاونية. لم تتباين الآراء سوى حول كيفية ذلك وتوقيته. هكذا، كانت سياسة هتلر، في مرحلة أولى، تروم تجاوز جسم الشغيلة المنظمين بأكبر قدر ممكن من الحذر، للحفاظ على حوافز للعمل لدى الشغيلة وتجنب إعطاء انطباع بسعي إلى سلبهم شيئًا ما.

بما أن النقابات كانت تستفيد،في الطور الأول من «الثورة الوطنية» الهتلرية، من هوامش مناورة، كان قادة النقابات يميلون أكثر فأكثر إلى اعتقاد بأن تكيفهم بشكل كافٍ مع السلطة

الجديدة سيؤدي إلى الاعتراف بهم كأعضاء في «الدولة التعاونية» الجديدة.

كانت النتائج الأولى لانتخابات لجن المقاولة، التي بدأت في مارس، قد أظهرت مرة أخرى لهتلر أنه لن يتمكن أبداً من وضع يده على مجالس المقاولات بواسطة NSBO (المنظمة الوطنية لخلايا المقاولة الاشتراكية- **م.و.خ .م.إش**). برغم الضغط الأشد على العمال، وبرغم تحالفات القوائم مع جمعيات المستخدمين الوطنيين، وجمعيات محلية هزيلة لشغيلة رجعيين، لم تفز **م.و.خ .م.إش** NSBOإلا بنسبة 25% من مجموع المنتدبين، ولك فقط حيث كان يشكل العمال ذوو المهارات العالية والمستخدمون معظم القوى العاملة.

وخشية تحول الانتخابات في الشركات الكبيرة إلى مظاهرات ضد حزب العمال الوطني الاشتراكي الألماني NSBO، جرى تأخير الانتخابات فيها بمبررات مختلفة كل مرة، إلى أن أتاح قانون لجن المقاولة، الصادر في 4 أبريل، تأجيل جميع الانتخابات حتى نهاية العام، وبالتالي استبعاد «العمال الذين كان موقفهم معاديًا للدولة» من لجن المقاولة التي كانت لا تزال قائمة، بنحو يمكن دمج النازيين فيها.

كان هذا القانون مرحلة في خطة طويلة الأمد للسيطرة على النقابات العمالية بعمل مفاجئ على مستوى الرايخ. نُفذت، كجزء من خطة العمل هذه، الحيلة الأكثر إتقانًا: رفع يوم فاتح مايو إلى مقام «عطلة رسمية للاحتفال بالعمل الوطني» بموجب قانون 10 أبريل 1933.

كانت «لجنة العمل» من أجل «حماية العمل»، التي ظل وجودها سريًا تمامًا، حتى داخل الحزب، برئاسة ليي Ley ، قد أعدت بالتفصيل إلى غاية 13 أبريل برنامج الاستيلاء، بينما كان غوبلزGoebbels المختص في تنظيم المظاهرات الجماهيرية قد تكرس لإعداد احتفالات فاتح مايو.

كتب غوبلز في مذكراته «سوف نجعل من فاتح مايو مظاهرة كبرى لإرادة الشعب الألماني. في 2 مايو، سيجري احتلال مقرات النقابات العمالية إنه التطويع والاصطفاف في هذا المجال أيضًا.قد يسبب هذا الأمر ضجة لبضعة أيام، ولكن بعد ذلك ستكون لنا. لا حاجة هنا لاستعمال قفازات.»

«لقد أراد قادة النقابة، بمقترحاتهم المقززة الإستسلامية، إنقاذ منظمتهم". لم ينقذ الكثير منهم حتى رؤوسهم».

خضوع الاتحاد العام النقابي الألماني (إ.ع.ن.أ) ADGB

أعلن ليفارت Leiphart رئيس نقابة إ.ع.ن.أ في رسالة «مفتوحة» إلى هتلر، ضرورة إنجاز المهام الاجتماعية للنقابات، « أبانت النقابات، باستقلال عن طبيعة قادة الدولة، عبر طلب الوساطة العامة والاعتراف بها [...] أنها تعترف بحق الدولة في التدخل في النزاعات بين العمال المنظمين وأرباب العمل. و لا تطلب النقابات التدخل في سياسة الدولة».

أعلن سكرتير الاتحاد جون إهرنتايت John Ehrenteitفي اجتماع المسؤولين النقابيين في الاتحاد المحلي في هامبورغ الكبرى Grand Hambourg:» إننا مستعدون وقادرون على مساعدة زعيم الدولة الجديدة على تحقيق رغبات العمال وتطلعاتهم في المجالين الاجتماعي والاقتصادي... حتى في هذه الظروف يجب ألا تهمل المنظمات النقابية مهامها الاقتصادية والاجتماعية. لقد حددت حكومة الرايخ الحالية لنفسها نفس هدفنا. يسهل هذا على النقابات العمالية إيجاد مكانها ضمن برامج الحكومة».

كان قادة النقابات العمالية يظهرون، بهذا الاستسلام المهين، عجزهم في مواجهة النازيين، وبعد أن سيطر روبرت لي Robert Ley ومعاونوه على النقابات، سخر هتلر علنًا من محاولاتهم التوفيقية.

كان تحويل يوم النضال العالمي التقليدي للحركة العمالية الاشتراكية إلى مهرجان وطني كبير بمثابة استفزاز واسع النطاق. كان من المتوقع أن يعارض قادة النقابات العمالية اغتصاب فاتح مايو هذا. بيد أن جريدة الاتحاد العام النقابي الألماني نشر مقالاً لوالتر بول Walter Pohl ،عشية فاتح مايو، جاء فيه:»لسنا بلا شك في حاجة إلى إنزال رايتنا للاعتراف بانتصار الاشتراكية الوطنية. برغم أن النصر تحقق بمحاربة حزب اعتبرناه دوما حامل الفكرة الاشتراكية، فإنه نصر لنا أيضا، لأن مهمة بناء الاشتراكية اليوم موضوعة أمام الأمة برمتها».

نقرأ في نداء للاتحاد العام النقابي الألماني، يستعير لغة الاشتراكية-الوطنية، ما يلي: بسعادة غامرة نحيي إعلان حكومة الرايخ يومنا عيدا للعمل الوطني، عيدا شعبيا ألمانيا. في هذا اليوم، كما جاء في الإعلانات الرسمية، يجب أن يكون العامل الألماني في قلب الاحتفال. في الأول من مايو، يجب على العامل الألماني أن يُظهر، وهو مدرك لمكانته الاعتبارية، أنه عضو كامل العضوية في الجماعة الوطنية».

أمام إبراز الخضوع هذا، لم يعد متوقعاً أن تعارض كتلة أعضاء المنظمات العمالية

تجمع حاشد في برلين يوليو 1932 لأنصار جمهورية فايمار ورايشسبانر شوارتز-روت-غولد والجبهة الحديدية في برلين © Bundesarchiv, Bild 102-13624 / CC-BY-SA 3.0

الاستفزازات بشكل عفوي، هي التي أثبتت مرة أخرى رغم إرهاب الفاشيين، ولاءها للحركة العمالية الاشتراكية عبر تصويتها يوم 5 مارس لصالح الأحزاب العمالية (776 000 لصالح الاشتراكيين الديمقراطيين وحوالي 5 ملايين (4 485 000) لصالح الشيوعيين).

احتلال مقرات النقابات

في 2 مايو، جرى احتلال مقرات النقابات في جميع أنحاء ألمانيا من قبل قوات «فيالق الحماية» SS و المنظمة شبه العسكرية للحزب النازي «مفارز الاقتحام» SAوالشرطة. أُعتقل أبرز قادة النقابات العمالية رغم محاولاتهم التوفيقية. أرادوا بمقترحاتهم الاستسلامية المقززة «إنقاذ منظمتهم». لم ينقذ الكثير منهم حتى رؤوسهم.

بيد أنه لم يكن ممكنا تعمية جماهير الشغيلة الذين تربوا على العمل النقابي المستقل. وكانت السلبية تعبيرهم عن معارضتهم. إذ شاركت 30% فقط من شركات برلين في المظاهرة المركزية في مطار تمبلهوف. Tempelhof

سارت المناورات الاشتراكية الوطنية في 2 مايو بدقة متناهية. ففي العاشرة صباحًا، احتلت قوات «فيالق الحمايةّ SS و»مفارز الاقتحام» SA بصفتها»شرطة مساعدة»مقرات النقابات العمالية، وبنك العمال والمستخدمين والموظفين في برلين وفروعه في الرايخ، وجميع مراكز الأداء ومكاتب تحرير الصحافة النقابية.

جرى وضع ليفارتLeiphart، وغراسمان Graßmann، وفيسيل Wissell، وأيضا رؤساء جميع الاتحادات ومدراء بنك العمال، وكبار مسؤولي مجمل البيروقراطية النقابية، ومحرري الصحافة النقابية، في «الحبس الاحتياطي». صودرت جميع ممتلكات النقابات الحرة وجُمدت حساباتها. باستثناء حالات قليلة (أربع حالات قتل في دويسبورغ Duisbourg)، نُفذت هذه الإجراءات في غضون ساعة واحدة دون مواجهة أي مقاومة. في اليوم نفسه، مورس الضغط على الاتحادات النقابية الأخرى (المسيحيون وغيرهم) من أجل «الخضوع طواعية»، وفي 5 مايو استطاع لي Ley أن يعلن لهتلر أن جميع اتحادات العمال والموظفين الرئيسة، التي تضم أكثر من 8 ملايين عضو، «خضعت بنفس الطريقة وبدون شروط.»

شكل يوم 2 مايو 1933 مظهراً لإفلاس الحركة العمالية الألمانية التي كانت حتئذ أكبر الحركات الجماهيرية المنظمة وأغناها بالتقاليد. وقد جعل عجزها عن الرد انتصار الفاشية ممكنًا. ووضع هذا الانتصار نهاية لمرحلة تاريخية كاملة.

«لقد أراد قادة النقابة، بمقترحاتهم المقززة الإستسلامية، إنقاذ منظمتهم". لم ينقذ الكثير منهم حتى رؤوسهم».

كانت الهزيمة النهائية للاشتراكية الوطنية إيذانًا ببدء مرحلة جديدة في التاريخ الألماني. يبدو، برغم ذلك، أن الغالبية العظمى من قادة اليوم لم يتعلموا حتى الآن شيئًا من مصير الحركة العمالية الألمانية المأساوي في سنوات 1923-1933.

أبريل 1970

هتلر في طريقه إلى التجمع في لوستجارتن صباح يوم 1 مايو 1933.
الأرشيف الفيدرالي، الصورة 102-15783 / CC-BY-SA 3.0

عن ماركس ومجتمعات الأطراف لكيفن ب. أندرسون

اكتشاف أبعاد ماركس المتعددة

إن نشرَ كتاب كيفن ب. أندرسون .Kevin B Anderson "ماركس ومجتمعات الأطراف" بالإسبانية مؤخرًا لخبر سار جدا (**). إذ يُسهم في التعريف في العالم الناطق بالإسبانية بعمل بحث طموح في كتابات ماركس للحقبة من 1869 إلى 1883. وهو يولي اهتمامًا خاصًا بملاحظاته وتعليقاته على المجتمعات غير الغربية وما قبل الرأسمالية–برغم من أنه يشير أيضًا إلى حقب سابقة (1).

بقلم خايمي باستور (*)

خايمي باستور

خايمي باستور محاضر متقاعد في العلوم السياسية، ومناضل في منظمة مناهضة الرأسمالية، الفرع الإسباني للأممية الرابعة، وعضو هيئة تحرير مجلة "فينتو سور". كتب هذا المقال قبل صدور الطبعة الفرنسية، وترجمه فابريس جيرمان.

© ALBERT SALAMÉ.

ينتمي كيفن ب. أندرسون إلى تيار ماركسي فريد ، المنظمة الماركسية الإنسانية العالمية، ومن مرجعياته رايا دونايفسكايا Raya Dunayevskaya (مؤلفة كتاب "روزا لوكسمبورغ وتحرير المرأة وفلسفة الثورة الماركسية"Rosa Luxemburg, Women'sLiberation and the MarxistPhilosophy of Revolution ضمن مؤلفات أخرى)، و سيريل ليونيل روبيرت جيمس C.L.R. James (أشهر أعماله"اليعاقبة السود")، دون أن ننسى تأثير فرانز فانون و دوبوا .W.E.B Du Bois على تطور المؤلف الشخصي.

يهتم في هذا الكتاب، ضمن أمور أخرى، بتطور أفكار ماركس حول المسألة القومية في أيرلندا وبولندا، والمقالات حول الحرب الأهلية في أمريكا الشمالية، وبدور التشكيلة التشاركية الفلاحية الروسية الممكن في مشروع اشتراكي. ويشير أيضا إلى تفضيله لطبعة ماركس الفرنسية المُحيَّنة من كتاب رأس المال (1872-1875)، التي أتاحت له توضيح بعض التأويلات. كما يشير أيضًا إلى الدفاتر الإثنولوجية غير المكتملة من 1879-1882 حول أشكال الزراعة وجماعات الفلاحين في الهند والأمريكتين وشمال أفريقيا وروما القديمة: وجد فيها ملاحظات هامة حول الجندر والعائلة، يمكن العثور فيها على اختلافات مع ما سيكتبه صديقه العظيم إنجلز.

كما أن كتاب ماركس ومجتمعات الأطراف مساهمة ذات صلة بتعاون كيفن.ب. أندرسون في مشروع النشر المكون من 32 مجلدًا بعنوان (Marx-Engels Gesamtausgabe(MEGA، والذي أتاح له الوصول إلى أرشيف من الكتابات غير المنشورة سابقًا.

ماركس التقاطعي

يؤكد أندرسون، عبر هذا المسار المُوثَّق أن ماركس الطور الأخير تطور -بمعنى مغاير عن الذي دافع عنه ألتوسير- نحو تصور للتاريخ متعدد الخطوط. هذا التصور، غير القائم على حتمية وغير الاقتصادوي، بعيد جدا في الآن ذاته عن الرؤية المركزية الأوربية التي ربما ميزته في مراحل سابقة، خاصة فيما يتعلق بالمسألة الاستعمارية. يقود هذا أندرسون إلى تبرير الأطروحة التي يدافع عنها في نهاية كتابه، ومؤداها:

«تبنى ماركس نظرة عالمية لمختلف أشكال الاستغلال والاضطهاد والهيمنة، من وجهة نظر أممية تركزت دائمًا على نقد رأس المال».

"»طوّر ماركس نظرية جدلية للتغير الاجتماعي لم تكن أحادية الخط ولا قائمة على الطبقة حصراً. ومثلما تطورت نظريته في التطور الاجتماعي في اتجاه متعدد الخطوط أكثر، بدأت نظريته في الثورة تركز بنحو مطرد على تقاطع الطبقة والعرق والإثنية والقومية. وتوخيا للوضوح، لم يكن ماركس فيلسوفًا للاختلاف بالمعنى ما بعد الحداثي، لأن نقد كيان اجمالي واحد، هو رأس المال، كان مركزا لمشروعه الفكري برمته. لكن المركزية لا تعني الأحادية أو الحصرية» (ص 369) (2).

قد يبدو هذا التصور لماركس التقاطعي قطعيا أكثر من اللازم، لكنني أعتقد أن هناك ما يكفي في أعماله للتأكيد مع أندرسون على أن ماركس الطور الأخير اتجه نحو رؤية إجمالية لمختلف أشكال الاستغلال والقمع والسيطرة، من وجهة نظر أممية ومتمحورة دائمًا حول نقد رأس المال.

المسألة القومية

لكن لنتابع خطوة بخطوة. يبدأ أندرسون بالتذكير بالكتابات المبكرة عن تأثير أوروبا على الهند وإندونيسيا والصين، دون أن ينكر تأثير هيغل على ماركس في رؤيته لحتمية الاستعمار. ويتناول الانتقادات التي طورها لاحقًا إدوارد سعيد وآخرون، لكنه يعارضها بتأثير تمرد التايبينغ في الصين في 1850-1864 في الصين وتأثير سيباي "المتمرد" في الهند عام 1857 على ماركس، ليكتب بعدها أن "الهند الآن هي أفضل حليف لنا" (ص 88).

كما تطورت أفكاره حول روسيا وبولندا. فقد أدرك ماركس دور بولندا باعتبارها "مقياس الحرارة الخارجي للثورة الأوروبية"، خاصة منذ الانتفاضة البولندية عام 1863. وقد ظهر ذلك بوضوح في خطاب ماركس الافتتاحي عند تأسيس الأممية الأولى عام 1864، وفي سجاله مع البرودونيين وعدميتهم القومية.

ضد العنصرية

فصل آخر مهم، هو المخصص للحرب الأهلية في أمريكا الشمالية، حيث يتم التأكيد على دعم ماركس القوي للنضال من أجل إلغاء العبودية، والذي رأى فيه أن الأمريكيين من أصل أفريقي يمكن أن يكونوا ذاتا ثورية محتملة (3)، مع الحفاظ على بعض الاختلافات مع إنجلز، على سبيل المثال فيما يتعلق بإعلان تحرير العبيد الذي أصدره أبراهام لينكولن.

جرى أيضًا تناول مسألة أيرلندا بعمق، لأن ماركس وعائلته، مثل إنجلز، كانوا منخرطين بشكل مباشر ونشط جدا. و تطوره بصدد هذه المسألة معروف بشكل أفضل، حيث قاده ذلك إلى تعديل موقفه الأولي بشأن العلاقة بين النضال من أجل استقلال أيرلندا ونضال البروليتاريا الإنجليزية. ففي 1869-1870، وصل إلى القول إنه نظرًا لطغيان العنصرية بين العمال الإنجليز إزاء المهاجرين الأيرلنديين، يجب أن يكون نضال الشعب الأيرلندي"رافعة" الثورة في إنجلترا وليس العكس.

نزع المركزية الأوربية عن ماركس

يشير أندرسون، فيما يخص المجتمعات غير الغربية، إلى أن ماركس في مخطوطاته الاقتصادية لفترة 1861-1863، كان قد أدرك بالفعل فرادة نمط الإنتاج الآسيوي قياسا بالإقطاع الغربي، ويمضي قائلاً: "لقد تغيرت وجهة نظر ماركس إلى «نظام التشكيلة التشاركية الآسيوي» وقراه بشكل واضح مقارنة بالإصرار على «الاستبداد الشرقي» والخمول الذي كان قد لاحظه سابقاً" (ص 263). ويتجلى هذا التطور أيضًا في رفضه لأي فلسفة غائية للتاريخ، كما يتضح من تحيين ماركس للطبعة الفرنسية من كتاب رأس المال (1872-1875)، حيث يقول: "إن البلد الأكثر تطورًا صناعيًا لا يظهر لمن يتبعه على السلم الصناعي إلا صورة مستقبله الخاص " (تشديد أندرسون) (ص 276). لذلك فهو يستثني من هذا التصور أحادي الخط البلدان التي لا تندرج في هذا الإطار، مثل روسيا أو الهند، ويلزم نفسه برؤية متعددة الخطوط للتاريخ، تختلف عن تلك التي يمكن تأويلها في البيان الشيوعي وغيره من مقالاته حول المسألة الاستعمارية.

إلهامات شيوعية

أدرك ماركس، تحت تأثير كتابات كوفاليفسكي حول أشكال الملكية التشاركية بوجه خاص، دور هذه الأشكال في بلدان مختلفة، مثل الهند والجزائر وأمريكا اللاتينية، وقبل كل شيء روسيا. وعلى هذا النحو، وفي إشارة إلى روسيا في مراسلاته الشهيرة مع فيرا زاسوليتش، لكن مع توسيع أفكاره لتشمل مناطق أخرى، أعرب عن أمله في أن تكون التشكيلات التشاركية الريفية "نقاط انطلاق للتطور الشيوعي". بيد ان أندرسون لم يغفل الإشارة إلى أن ماركس اعتبر أن حدوث ذلك يقتضي ارتباطها بـ "الثورات الناشئة للطبقة العاملة في التطور الصناعي الغربي" (ص 341).

ومن المهم بنفس القدر الإشارة إلى كتاباته في الفترة 1879-1882 حول مسألة النوع الاجتماعي (الجندر)، عبر كتاباته عن الشعوب الأصلية، وأيضًا عن المجتمع الروماني، وملاحظاته على أعمال مورغان. ويؤكد أندرسون كيف أن ماركس يحلل، في هذه الملاحظات، بعبارات جدلية، الأشكال البديلة لعلاقات الجندر التي كانت موجودة في هذه المجتمعات، ويضعها في عصورها الخاصة ويتجنب "إضفاء المثالية التبسيطي".

سد الفجوة

تمنح هذه الأعمال مجتمعةً أُسسًا كافية لدعم الأطروحة القائلة بإمكانية العثور عند ماركس على صياغة تدريجية "لنظرية جدلية للتغيير الاجتماعي لم تكن أحادية الخط ولا قائمة على أساس طبقي حصريًا".

يشرح أندرسون أيضًا، في مقدمة الطبعة الإسبانية، أنه كان يحاول بواسطة هذا الكتاب "سد الفجوة بين تيارين": ذلك الذي يركز على السيطرة الطبقية من جهة، والذي يناضل ضد أشكال اضطهاد أخرى أو تدمير البيئة من جهة أخرى. لا يندرج هذا البعد الأخير، وهو بالتأكيد أساسي في زمن الرأسمالية الكوارث هذا، ضمن نطاق هذا الكتاب، لكن المؤلف لا يتجاهل أهميته بالإشارة إلى بعض المساهمات حول هذا الموضوع، ولا سيما تلك التي كتبها كوهي سايتو، والتي لا تخلو من جدالات.

ولا تنقص الأمثلة عن فائدة رؤية ماركس متعددة الأبعاد هذه في معالجة صراعات اليوم ونقاشاته بأدوات أفضل، في تجاوز للتعارضات الثنائية الزائفة. لنأمل إذن ألا يُستقبل هذا العمل كشيء غريب عن اهتمامات الأجيال الجديدة التي تنخرط اليوم في"إعادة التفكير في النضالات والثورة" في أزمة الطوارئ العالمية هذه، سواء انطلاقا من الماركسية أو بالحوار معها (4).

21 مايو 2024

(*) خايمي باستور أستاذ محاضر في العلوم السياسية، متقاعد وناشط في حزب مناهضي الرأسمالية Anticapitalistas ، فرع الأممية الرابعة بالدولة الإسبانية، وعضو هيئة تحرير مجلة "فينتو سور".

(**) صدرت ترجمة عربية لكتاب كيفن.ب. أندرسون هذا بعنوان «ماركس ومجتمعات الأطراف:حول القومية، الإثنيات، والمجتمعات غير الغربية» أنجزها هشام روحانا عام 2020، عن «دار نينوى»

إحالات:

1- حتى وقت قريب، مع انه تم نشر العديد من المساهمات المهمة حول هذه الحقبة (مثل مساهمات مارسيلو موستو أو ألفارو غارسيا لينيرا)، فإن الطبعات الإسبانية الوحيدة المتاحة كانت طبعة عام 1988 (Los apuntesetnológicos de Siglo XXI) Karl Marx, لكاتبه لورانس كرادر Lawrence Krader ، أو طبعة عام 1990 من قبل EditorialRevolución من كتاب " " (El Marx tardío y la vía rusa)، بتنسيق تيودورشانين Teodor Shanin ، الذي صدر عام 1990.

2- الاقتباسات مأخوذة من الطبعة الإسبانية من فيرسو Verso.

3- يجب أن نتذكر أيضًا جملته القائلة بأن "العامل الأمريكي ذو البشرة البيضاء لا يمكنه أن يتحرر طالما أن العامل ذو البشرة السوداء لا يزال موسومًا بالحديد الملتهب".

4- للمزيد من المعلومات حول هذا الكتاب ومشروعه الجديد، انظر "Los escritostardíos de Marx"، Viento sur، 11 مايو 2024.

https://vientosur.info/los-escritos-tardios-/de-marx

شرارة من النار التي تحرقنا

في مقدمته الجميلة من صفحتين بعنوان"هايتي، ديْننا"، الذي نُشر بإذن كريم من دار سيلبس https://entrelesligneslesmots.wordpress.com/2025/02/07/haiti-notre-dette/,
يتحدث فريديريك توماس عن الماضي: «جرى انتزاعكم من أراضيكم ومن عائلاتكم. أُختُطِفتُم من كوت دور، من داهومي، من أرض الأراداس. رُكِنتم في قاع البواخر، ولم يكن لديكم شيء، ولم تكونوا شيئًا. لقد رُميتم، مكبّلين بالسلاسل، على بعد آلاف الكيلومترات في أرض غريبة عنكم "، ويبني جسرًا إلى الحاضر والمستقبل:»مضى الزمن، لكن وعدكم باقٍ. أنا مدين لكم بجزء من راحتي وحقوقي وأسلحتي. وعلى عكس فرنسا، أنا أدفع ديوني».

فريديريك توماس

فريديريك توماس عالم سياسي متخصص في هايتي، وزميل باحث في معهد دراسات الشرق الأوسط في لوفان لا نوف (بلجيكا)، ومؤلف كتاب:

L'ÉCHEC HUMANITAIRE - LE" ."CAS HAÏTIEN

ديدييه إبسزتاجن متقاعد من القطاع الخاص، عصامي ومحرر مع آخرين لكتب نشرتها دار سيلبس، ومقدم مدونة:

ENTRE LES LIGNES ENTRE LES .MOTS

بقلم ديديه إبشتاين (*)Didier Epsztajn

الكتاب صغير، ولكن فريديريك توماس، على عكس آخرين، لا يقدم صورة كاريكاتورية، ولا ينسى، ولا يمحو هذا ولا ذاك، ولا يطمس التناقضات. ضربة مقابل ضربة في كتابة رائعة...

أشخاص محوَّلون إلى عبيد، وعبيد سابقون، وأفارقة كاريبيون، حرروا أنفسهم وحدهم. حدثٌ لم يسبقه مثيل، " لا تزال الموجة الصدمية تصلنا، ولا تزال تهز القوى»، لا يُغتفر بنظر أسياد العالم. «إن المثال السام لهذه الدولة السوداء الأولى، المتحدرة من ثورة عبيد، له قدرة إرعاب الحاضر، وعلى إدامة الأحلام والتمردات والمخاوف».

يتحدث المؤلف عن سياسات فرنسا، وإعادات كتابة التاريخ، والتفاوت بين الدول، والنظرة الاستعمارية لزمن محبوس، ومرسوم شارل العاشر (17 أبريل 1825)، «إن نصرا محرزاً بالنضال يتحول إلى استقلال تمنحه السلطة المهزومة». ويعود لتناول الثورة، ومزارع قصب السكر، والإداريين والمالكين، والبيض الصغار، والسود الأحرار، وعبيد المزارع، " وكل العلاقات الاجتماعية مشبعة ومنظمة ومحددة تضافريا بعنف العبيد»، و كتاب «اليعاقبة» السود لسيريل روبرت ليونيل جيمس ـ C.R.L. James، والعنصرية وهلع المستعمِرين، وفرانسوا دومينيك توسان لوفرتور.

«تندرج الثورة في الخط الذي فتحته الثورتان الأمريكية والفرنسية». مرسوم الحرية العامة، وإلغاء العبودية، ودور ليجيه-فيليسيتيه سونثوناكس Léger-Félicité Sonthonax ، " صدى التمرد بات الآن عالميا». يجب ألا تخطئوا، " لقد كانت المبادرة الحقيقية صادرة عن العبيد الذين انتفضوا ومارسوا ضغطًا هائلاً على جميع القوى المعنية». لا يمكن قبول هذه البادرة المُحرِّرة، بل سيتم إنكارها وتحويلها إلى تنازل من السلطة (وهي عادة المسيطرين آنذاك كما هو الحال الآن!). ومع ذلك، وكما يشير الكاتب محقًا، فإن "الثورة الهايتية تخلق «ذوات جماعية» أُخَر تضحك على هذه السلطات..."

يحلل فريديريك توماس، في الفصل التالي، الميثاق الاستعماري الجديد، «التحدي يكمن في التفكير معا في الهيمنة الدولية وهيمنة الطبقة الحاكمة الهايتية» ووضع التبعية في ظل الاستعمار الجديد، وبنية المجتمع الاستعماري والسلطة الجديدة الناشئة عن الثورة الهايتية، ونموذج الزراعة المكثفة « المزرعة هي منصة استيراد وتصدير، حيث مركز اتخاذ القرار مُرحَّل، "العمالة الحرة التي تذكرنا بأيام العبودية، و" مقاومة العبيد السابقين العنيدة، الرافضة للعودة إلى المزارع»، والحفاظ على وسم العبودية والاستعمار، وأيضًا ' مشروع زراعة بديل "، وانقسامات المجتمع الهايتي الداخلية، والأوليغارشية، والأسطورة التأسيسية والفشل الاقتصادي. ويختتم المؤلف هذا الفصل بكشوف الحساب المطلوبة من الدولة الفرنسية والحاجة إلى سياسة تعويضات...

مراسلات أممية

أبريل 2025

الانتفاضات، ولحظة 1825، و"هايتي الدولة الأكثر تفاوتا في القارة الأكثر تفاوتا في العالم»، وتكرار الصدمات «على خلفية كوارث طبيعية وعدم استقرار سياسي وفقر»، والمساعدة الإنسانية و»طرق إغفال هايتي»، ومن يتحدثون عن الطوارئ دون التاريخ وينسون الحقوق والمقاومة، وحركات التعبئة في العام 2008، والغضب ضد الفساد وغلاء المعيشة، والخلط الدولي بين «أسوأ السياسات وسياسة الأسوأ»، والنظرات المشتركة للمنظمات غير الحكومية والدبلوماسيين الدوليين، ركام الصمت، «المخاوف المدفونة منذ تلك الليلة الشهيرة في أغسطس 1791»، سلطة إخفاء السلطة، المسؤوليات غير المرئية، وسياسة المساعدة الإنسانية كمبرر « لما يُفعل وما لا يُفعل، وما يُتاح له أن يُفعل»، ورفض «انتقال قائم على قطيعة»، واتفاقية مونتانا، وحكومة آرييل هنري، والعصابات المسلحة ورفض» فرض حظر حقيقي على الأسلحة القادمة من الولايات المتحدة «، والأوليغارشية والنخب، والاشتغال الشبيه بالمافيا. نحن بحاجة، في مواجهة بناء الحقائق المزيفة والمضللة، وفي مواجهة إخفاء السلطات والمسؤوليات، إلى إعادة الاعتبار للتاريخ وكلمات سكان هايتي من أجل القطع مع استراتيجيات الميثاق الاستعماري الجديد...

يختتم فريديريك توماس بفصل عن «التعويضات». و علينا، ضد فكرة أن شيئًا لم يحدث، أن ننظر وجها لوجه إلى الشعب الهايتي، ونعترف بالحقائق والمسؤوليات، ونسن سياسة تعويضات: «فرنسا مدينة لهايتي بدين يجب أن تسدده ".

يجب علينا أن نبرز الطبيعة الاستثنائية لانتفاضة عام 1791، ونبدد القراءات أحادية اللون الحداثة، ونحلل " آلية التوجيه نحو الخارج والسلب المزدوجة» " وتراكب المشهدين الدولي والوطني، ونرفض القومية الضيقة المفصولة عن مناهضة للاستعمار وعن الأممية ونبطل ما يفعل باسمنا...

نحن بحاجة إلى كتب كهذه إذا ما أردنا أن اندماج نضالاتنا اليومية مع اشتعال العالم...". الثورة الهايتية هي وعد يجب الوفاء به ".

فريديريك توماس هايتي: ديننا Éditions Syllepse، باريس 2025، 96 صفحة، 5 يورو

https://www.syllepse.net/haiti-notre-dette-_r_28_i_1100.html

(*) فريديريك توماس Frédéric Thomas عالم سياسة متخصص في هايتي، وزميل باحث في مركز دراسات القارات الثلاث في لوفان لا نوف (بلجيكا) ومؤلف كتاب "L'échec humanitaire-Le cas haïtien."

ديديّه إبشتاين متقاعد من القطاع الخاص، عصامي، ومحرر مع آخرين لكتب نشرتها دار سيلبس Syllepse ، ومشرف على مدونة Entre les lignes entre les mots.